الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة

وزارة التعليـــــم العالـــي والبحـــث العلمـــي

جامعة مولود معمري – تيزي وزو

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم العلوم الإنسانية

فرع التاريخ

حـرب الثلاثيـن سنـــة في أوروبا (1618-1648 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519-1830م)

إعداد الطالبة :

ليليـة حنيـش

إشراف الأستاذة :

زكـية فلاح

السنة الجـامعية 2023 -2024 م

الجمهوريـــة الجزائريـــة الديمقراطيـــة الشعبيـــة
وزارة التعليـــــم العالـــي و البحـــث العلمـــي
جامعة مولود معمري – تيزي وزو
كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية
قسم العلوم الإنسانية
فرع التاريخ

حـرب الثلاثيـن سنـة في أوروبا (1618–1648 م)

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر في تخصص تاريخ الجزائر الحديث (1519–1830م)

إعداد الطالبة: **إشراف الأستاذة :**

ليلية حنيش **زكية فلاح**

اللجـــنة المنـــاقشة		
الأستاذ	**رشيد مريخي**	**رئيسا**
الأستاذة	**زكية فلاح**	**مشرفا و مقررا**
الأستاذة	**مسعودة قاسي**	**مناقشا**

السنة الجـامعية 2023 – 2024 م

شكر و تقدير

الحمد و الشكر لله العلي القدير الذي أمدنا بالعون الكافي في انجازنا لهذه المذكرة

سبحانه و تعالى نحمده و نشكره على نعمه و حسن عونه.

أشكر الأستاذة فلاح زكية على قبولها الإشراف على هذا العمل

أشكر كل أساتذتي الذين واكبوا مختلف أطوار دراستي

كما أشكر لجنة المناقشة على قبولها مناقشة هذا العمل.

إهداء

الحمد لله الذي أنار طريقي و ألهمني و مدني بالقوة و الثقة....

الحمد لله الذي وفقني لتثمين هذه الخطوة.....

بكل فخر أهدي تخرجي و فرحتي التي انتظرتها طويلا

إلى من كانوا مصدر الدعم و العطاء دائما .....

إلى النور الذي أضاء دربي، إلى العزيز الذي حملت اسمه فخرا

إلى معلمي الأول، الرجل الذي سعى طوال حياته لنكون الأفضل

أبي الغالي

إلى من كانت الداعم الأول لتحقيق طموحي، إلى من كانت ملجأي و يدي اليمنى في هذه المرحلة.....

إلى من أبصرت بها طريق حياتي و اعتزازي بذاتي، إلى القلب الحنون، إلى من كانت دعواتها تحيطني

أمي الحبيبة

إلى مصدر قوتي الداعمين و الساندين، على خيرة أيامي و صفوتها

إلى ضلعي الثابت و أمان أيامي

إخوتي الغاليين

إلى من حبهم يعلو فوق كل حب، لكل من كان عونا و سندا في هذا الطريق

إلى نوري المضاء الذي لا ينطفئ

إلى جميع أفراد عائلتي الغاليين

الملخص

ما إن بدأت الحرب البروتستانتية خلال القرن السادس عشر حتى بدأ ما يمكن نعته بعصر الإرهاب الديني في أوروبا، تقوده الكنيسة الكاثوليكية و بذلت كل جهودها من أجل قمع تلك الحركة التي انتشرت في مختلف أرجاء القارة الأوروبية و قد أسفر عن ذلك انقسام أوروبا إلى قسم بروتستانتي متشبث بأفكاره و قسم آخر يقدس البابا و الفاتيكان و قد أدى ذلك إلى احتدام الصراع بين الطائفتين المسيحيتين و تحول بمرور الوقت إلى حرب مدمرة اكتسحت أوروبا، تعرف بحرب الثلاثين عام (1618–1648) و كان وازعها الاساسي ديني الا ان الغايات الخفية كانت اكثر من ذلك فنرى الاطراف المتصارعة تتنافس من أجل السلطة و النفوذ. يمكن القول أن فشل صلح أوغسبورغ 1555م في التوصل إلى حل نهائي للخلافات الدينية الا هو أحد الأسباب في قيام الحرب التي شملت الأراضي الأوروبية بصورة تدريجية, إلى جانب هذا نجد الأسباب السياسية الاقتصادية، و لقد مرت الحرب بأربعة مراحل: (المرحلة البوهيمية 1618–1620 م)، (المرحلة الدنماركية 1625–1630م)، (المرحلة السويدية 1630–1635)، (المرحلة السويدية الفرنسية 1635–148)، و انتهت الحرب بصلح و ستغاليا الذي عقد عام 1648م بعد توصل الجميع إلى عدم جدوى استعمال القوة العسكرية.

Summary

As soon as the protestant movement began during sixteenth century, what could be called the age of religious terrors began in Europe, led by catholic church, which made every effort together that movement that spread throughout in European continent. This resulted into a protests section that spoke its ideas and another section that sanctified the Pope and the Vatican. This led to an intensification of conflict between the two Christian sects, our time it turned into a devastating war that swept Europe known as the thirty years war, its basic motive was religious but the rich goals were more than that, as we see the conflicting parties competing for power and influence. It can be said that the failure of peace of Augsburg 1555 ad to reach a final solution to the religious differences in only one of the reasons for outbreak of the war that gradually included European. In addition to this, we find the political reasons. Economic and the war went through for stages: (Bohenian stage 1618-1620), (Danish stage 1625-1630), (Swedish stage 1630-1635), (Swedich French stage 1635-1648), and the war ended with the treaty of Westphalia which was hold in 1648 after everyone reached the point of use of military force.

عرفت أوروبا بداية القرن السادس عشر أحداث مهمة اسفرت عنها تغيرات كبيرة في أوضاعها السياسية و الدينية، و من أهم هذه الأحداث تأثير الإصلاح الديني الذي نتج عنه صراع ديني طائفي كاثوليكي بروتستانتي تحول فيما بعد إلى سلسلة من الحروب الدينية بلغت ذروتها في القرن السابع عشر ميلادي كان لها التأثير البالغ في تشكيل وجه أوروبا الحديث.

كانت الإمبراطورية الرومانية المقدسة ميدانا لأكثر الحروب دموية في تاريخ أوروبا و هي حرب الثلاثين سنة التي استمرت لمدة ثلاثة عقود (1618–1648م)، إذ اكتست برداء الدين من أجل تحقيق مصالح سياسية و شاركت فيها الدول الأوروبية، لتصبح بعدها أوروبا مسرحا لحرب دولية شعارها "النفوذ للأقوى".

- **أهمية الدراسة:**

وتكمن الأهمية التاريخية لهذا الموضوع في تقديم رؤية شاملة ومعمقة عن واحدة من أكثر الحروب تعقيدا وتأثيرا في التاريخ الأوروبي الحديث.

- **أهداف الدراسة:**

– دراسة تفاصيل الأحداث والمعارك الرئيسية لفهم تطور الحرب وتأثيرها على الأطراف المتحاربة

– الكشف عن صفحات من التاريخ الأوروبي الحديث.

- **حدود الدراسة:**

– **الإطار الزماني:** بدأت الحرب سنة 1618م مع "الانتفاضة البوهيمية" وانتهت بتوقيع معاهدة وستفاليا سنة 1648م التي أنهت الحرب.

– **الإطار المكاني:** كانت الإمبراطورية الرومانية المقدسة مسرح الأحداث (خاصة الأراضي الألمانية) و من ثم توسع الصراع ليشمل دول أوروبية أخرى: الدانمارك، السويد، فرنسا .

- **أسباب اختيار الموضوع:**

هناك مجموعة من الأسباب التي دفعتني لإختيار هذا الموضوع تمثلت الأسباب فيما يلي:

– الرغبة الذاتية في البحث عن تاريخ الحروب الأوروبية خلال العصور الحديثة.

– تقديم مساهمة متواضعة لإثراء المكتبة، وإفادة القراء و الباحثين و الدارسين للتاريخ الأوروبي الحديث.

- التعرف على أهم الشخصيات الغربية التي غيرت من مجرى التاريخ الأوروبي.
- غياب دراسة تاريخية علمية تنفرد بالحديث عن حرب الثلاثين عام.

- **الإشكالية:**

يرتكز الموضوع على معالجة إشكالية جوهرية تتمثل فيما يلي:

هل كانت حرب الثلاثين عام صراع ديني بحت أم كانت تغطي على صراعات سياسية و اقتصادية أعمق ؟

و قد ارتأينا إلى تجزئة هذا الإشكال العام إلى تساؤلات فرعية و هي:

- ماهي الأوضاع العامة في أوروبا قبل اندلاع حرب الثلاثين عام ؟
- ما هي أسباب هذه الحرب ؟ وكيف جرت أحداثها وقائعها؟
- كيف انتهت الحرب؟
- كيف ساهمت معاهدة وستفاليا في تحقيق المكاسب الدينية والسياسية للأطراف المتورطة، وما هي الآثار الرئيسية لهذه المكاسب على الوضع الأوروبي بعد الحرب؟
- هل يعتبر مؤتمر وستفاليا 1648م هو الأساس الذي قامت عليه العلاقات الدولية؟

- **منهج البحث:**

وللإجابة على الأسئلة المطروحة اعتمدنا على المنهج التاريخي يبدأ الوصف بمدخل السياق التي نشأت فيه الحرب مثل الصراعات الدينية بين الكاثوليك والبروتستانت، إلى جانب ذلك وصف المعارك الكبرى مثل معركة لوتزن 1632م، و أيضا الكشف عن الحقائق التاريخية من خلال تحليل و تركيب الأحداث و الوقائع الماضية و إعطاء تفسيرات و لقد تم توظيف هذا المنهج في تتبع مجريات الحرب .

- **الدراسات السابقة:**

لقد كانت هناك دراسات سابقة للموضوع، تطرقنا لبعض جزئياته مثل مذكرة ماجيستر في التاريخ بليبيا لـ: فوزي جيب الله عامر أ رحيم بعنوان : "مؤتمر وستفاليا" (1648م) دراسة في تاريخ الدبلوماسية الدولية حيث تناولنا أسباب الحرب في الفصل الثاني .

- **عرض خطة البحث:**

لمعالجة الموضوع من كل جوانبه اعتمدنا على الخطة التالية: مقدمة وثلاثة فصول، خاتمة و مجموعة من الملاحق ذات صلة بالموضوع .
لقد عرفنا في المقدمة بالموضوع و أهميته .

تناولنا الفصل الأول :الأوضاع في أوروبا قبل نشوب حرب الثلاثين عام 1618-1648م وقسمناه إلى مبحثين المبحث الأول ظهور الإصلاح الديني أوائل القرن 16م و أدرجنا فيه عوامل الإصلاح الديني، الإصلاح الديني في ألمانيا ،الإصلاح الديني في سويسرا، بينما المبحث الثاني تطرقنا فيه إلى الإصلاح الكاثوليكي المضاد و الحروب الدينية في فرنسا، والحروب الدينية في الأراضي المنخفضة.

أما الفصل الثاني فقد خصصناه لحيثيات الحرب، قسمناه بدوره إلى مبحثين :المبحث الأول بعنوان أسباب الحرب و أدرجنا فيه الأسباب السياسية الدينية، السياسية ،الإقتصادية، أما المبحث الثاني تناولت فيه تطورات الحرب و تطرقنا إلى مراحلها الأربعة :الحرب البوهيمية (1618-1620) المرحلة الدانماركية (1625-1630) المرحلة السويدية (1630-1635) المرحلة السويدية الفرنسية(1635-1648) .

أما الفصل الثالث و الأخير فقد درسنا فيه صلح وستفاليا تتويج لنهاية حرب الثلاثين عام حيث عالجنا في المبحث الأول مؤتمر وستفاليا ،حيث استعرضنا فيه بداية المفاوضات للسلام في المؤتمر، مبادئ المعاهدة ، قواعد التسوية الدينية و السياسية للمعاهدة، أما المبحث الثاني تناولنا فيه نتائج صلح وستفاليا و تأثيره على العلاقات الدولية، أما الخاتمة فكانت شاملة لأهم الإستنتاجات لهذه الدراسة.

- **أهم المراجع المعتمدة:**

استعنا في هذه الدراسة على مجموعة من المراجع باللغة العربية و الإنجليزية و التي لها علاقة بالموضوع و تتناول التاريخ الأوروبي في العصر الحديث واهتمت بتاريخ أوروبا بصفة عامة و التي تتمثل فيما يلي :

-عبد المجيد نعنعي "أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة"، عبد الحميد البطريق " تاريخ أوروبا الحديث" هذان الكتابان ساعدانا في مختلف مراحل البحث خاصة في الفصل الثاني تناولا أطوار البحث.

- اعتمدنا على كتاب "التاريخ الأوروبي الحديث" للدكتور عبد الفتاح حسن أبو علية و قد احتوى على العديد من الأحداث التاريخية حيث رصد حركة الإصلاح الديني في أوروبا الذي أفادنا في الفصل الأول خاصة.

- و هناك مراجع أخرى استخدمتها بشكل جزئي في محطات مختلفة من المذكرة مثل كتاب " أوروبا من مطلع العصور الحديثة حتى سقوط نابليون بونابرت" للدكتور صالح أحمد هريدي و كذلك كتاب" التاريخ الأوروبي الحديث" للدكتور حسن صبحي.

-كتاب أحمد صالح عبوش المعنون بـ: " تاريخ أوروبا في عصر النهضة" الذي وظف في تأثير صلح وستفاليا على العلاقات الدولية في الفصل الثالث.

- إلى جانب هذا اعتمدنا على بعض الكتب الأجنبية مثل الكتاب الإنجليزي :
Tryntje Helfferich, Thirty years war (1618-1648) و هو مرجع لا يمكن الإستغناء لكل من يريد الخوض في خلفية الحرب، أسبابها و الظروف السياسية و الدينية التي أدت إلى اندلاعها و لقد أفادنا هذا الكتاب في الفصل الثاني .
- اعتمدنا على مقال "حرب الثلاثين سنة – قراءة الأسباب و النتائج" في مجلة الدراسات الإنسانية لـ: " عمار شاكر الدوري، حارث عبد الرحمان التكريتي "

استعنا ببعض القواميس و الموسوعات التي استفدنا منها في شرح بعض المصطلحات مثل:"الموسوعة العربية العلمية" لـ: محمد شفيق غربال .

- **الصعوبات:**

لا يخلو أي بحث أكاديمي من أية عراقيل، فبدورنا واجهتنا في إنجاز هذه المذكرة عدة صعوبات تتمثل فيما يلي:

- صعوبة استخدام المراجع الأجنبية التي تستغرق وقتا طويلا، والمراجع العربية التي اعتمدناها لم تكن كافية لأننا لم نتحصل على دراسات معمقة حول تاريخ حرب الثلاثين عام، كما أن أغلب المراجع ركزت على تاريخ أوروبا بصفة عامة وأعطت موضوع حرب الثلاثين عام جزء فقط من دراستها.

- عناء التنقل والبحث عن المراجع وضيق الوقت نظرا لكثرة الاستحقاقات المتمثلة في إنجاز البحوث.

تعتبر فترة العصور الوسطى من أبرز الفترات في تاريخ أوروبا لأنها شهدت أحداث متميزة فظهور الكنيسة و تزايد صلاحيتها من الناحية الدينية و السياسية و بروزها كقوة منافسة للسلطة ساهم في توجيه تاريخ أوروبا، هذه الفترة كانت بمثابة إنتقال من العصور المظلمة إلى عصر النهضة .

ما ميّز أوروبا خلال حقبة العصر الحديث هو بروز الحركات الدينية التي لعبت دورا فعالا في المجتمع الغربي المسيحي و من بين هذه الحركات حركة الإصلاح الديني التي بذلت جهودا لإحداث تغييرات جذرية للكنيسة و الرجوع إلى الكتاب المقدس و ذلك للوضع السيء الذي آلت إليه المجتمعات الغربية.

المبحث الأول: ظهور الإصلاح الديني في أوروبا خلال القرن 16م

أولا- دوافع قيام حركات الإصلاح الديني البروتستانتي :

1- دوافع دينية:

- **فساد الكنيسة الأخلاقي:**

لم تكترث الكنيسة لأمور الدين فعمل الناس على ادخار مخلفات القديسين و الرسل و الحج إلى قبور القديسين، قاموا بتعذيب أجسادهم و عدم فهمهم لمعنى الأدعية اللاتينية الصائبة عند تلاوتهم لها،و ضمان الطاعة العمياء للكاهن،في حين يعيش هؤلاء حياة الترف و البذخ و الفساد، كان الباباوات يلجؤون إلى الحيلة من أجل الحصول على الأموال بشتى الوسائل، فأصبحت الوظائف المرتبطة بالدين تباع للأشخاص غير المؤهلين في المجال الديني مقابل مبالغ مالية، كذلك إقبال رجال الدين على ملذات الدنيا و جمع الثروة لصالحهم بشتى الأساليب، علاوة على ذلك استيلاءهم على المناصب السياسية في البلاد.[1]

[1] .علي تسن فرغلي، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر ، دار الوفاء لدنيا الطباعة و النشر، الاسكندرية- جمهورية مصر العربية،2001، ص48 .

فقدت الكنيسة الكاثوليكية قدرا كبيرا من نفوذها خلال القرنين 14م و 15 م حيث تشتتت بسبب الصراعات الداخلية و بعض الأخطاء المرتكبة في الشعائر الدينية و في الوقت نفسه تعرض سلطة البابا لتهديدات الملوك الأقوياء[1].

لقد أكد نقاد الكنيسة حسب ما تداوله المؤرخون عن التصرف بطريقة غير لائقة من الناحية الأخلاقية و فساد سمعتهم رغم انتسابهم إلى المجال الديني وأمثال ذلك ألكسندر السادس[2] " Alexandre VI " لديه عدد من الخليلات[3] لقد أصاب تدهور رجال الدين و البابوية في روما إذ حدث إنفصال من بعضهم البعض بسبب المنافسة الواقعة بين ثلاثة بابوات (في مدينة روما، بيزا الإيطالية، أفينيون الفرنسية) لتزعم العالم المسيحي، و كل واحد يشوه سمعة الآخر لتولي عرش البابوية مما أفقدها هيبتها الدينية.[4]

و من الواضح أن رجال الدين يسعون لتحقيق الربح المادي،فيؤدون الشعائر الدينية في صالحهم و لأسرهم من خلال تشييد الأديرة و الكنائس،فهمهم الوحيد هو تحقيق منافع إقتصادية فأغلب الأساقفة تسير من طرف شخص واحد أي سيطرة فئة النبلاء على رأسهم الكهنة و أتباعهم أدى إلى عزل الطبقة الكادحة[5]

---

[1] نصري ذياب خاطر، تاريخ أوروبا الحديث، الجندارية للنشر و التوزيع، ط1، عمان– الأردن،2011،ص 33

[2] ألكسندر السادس تولى منصب البابوية (1492_1503م)،فرض ضريبة الصليب على المسحيين ،وذلك لتحديد الحملات الصليبية ضد المسلمين، وقد اشتهر بتقسيمه لمناطق النفوذ في العالم بين إسبانيا والبرتغال أنظر: صالح حيمر: التحالف الأوروبي1541م و تأثيراته الإقليمية والدولية، رسالة ماجيستير، جامعة الحاج لخضر باتنة 2006 _2007ص 19.

[3] عامر كاظم الوائلي، الإصلاح الديني قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتيجية، ط1،العتبة العباسية المقدسة، 2018 ص ص 41،40.

[4] شوقي عطا الله الجمل، عبد الله عبد الرازق إبراهيم، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الحرب الباردة،د.ط، المكتب المصري لتوزيع المطبوعات ،القاهرة ،2000،ص41

[5] Isaac Padinjarekuttu,The cause of the reformation,jnanadeepa,issie21,n2,India,2017,p21

- **ظاهرة صكوك الغفران:**

إبتدعت كنيسة البابوية صكوك الغفران لغرضين و هما تشييد كنيسة جديدة المسماة "القديس بطرس[1] " Saint pierre " أو لغرض آخر و هو تمويل الحملات الصليبية لتشكيل إمارة بيت المقدس و القضاء على العثمانيين.[2]

صكوك الغفران ما كانت تسلمه الكنيسة الكاثوليكية لمواطنيها و يسمح لهم بمحو الذنوب و دخول الجنة حسب ما كانت تدعيه و من شروط التوبة الإعتراف أمام القسيس و أن يعرض الفرد نفسه إلى العذاب لفترة زمنية محددة في المطهر Purgatoire[3].[4]

يعهد إلى البابوات بنفقات مالية معينة حيث يبيعون صكوك الغفران لعملاء البنوك فإنتقل الأمر من عمل ديني إلى مصدر مصرفي جوهرها هو أن الكنيسة تتلقى مبالغ مالية طائلة تحت ستار ديني و روج لها أنها تضمن دخول الجنة لمن اشتراها[5].

لقد ظهر العديد من المصلحين الذين نادوا بإصلاح الكنيسة الكاثوليكية على سبيل المثال حنا ويكيلف[6] "Hanna wycliffe"الإنجليزي(1328م-1383م) المعروف بانتقاداته اللاذعة للكنيسة حيث طالب بالشفافية في إدارتها و رفض بيع المناصب الكنسية و الفساد

---

[1]القديس بطرس: حسب الإعتقاد المسيحي كان صيادا، دعاه المسيح إلى التبشير و سماه بطرس ، ترأس الكنيسة في مهدها، وأقام في أنطاكيا، ثم نزح إلى روما داعيا و توفي هناك، شيدت كنيسة كبيرة وسميت بإسمه سنة 326 م ، ثم جددت في القرن 15 على يد كبار الفنانين أنظر محمد شفيق غربال: الموسوعة العلمية الميسرة ، ط1، دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، 1962 م ، ص 206

[2]عامر كاظم الوائلي : المرجع السابق ص 43.

[3]المطهر:هو المكان أو السجن المؤقت طبقا لتعريف الإنجيل تنال الأنفس البار مغفرة خطاياها الطفيفة لا بالحل منها عن طريق التوبة،كما في سر التوبة الحل منها عن طريق احتمال بعض العذابات المؤقتة حتى إذا تطهرت تماما من كل خطيئة ، وأوفت ما تبقى عليها من قصاصات زمنية مرتبة على خطاياها المغفورة،أدخلت من فورها السماء مقر الطوبا ومن الملائكة و القديسين.أنظر:الأب لويس برسوم: الإكليريكي الفرنسيسكا في القبطي ،القاهرة، 1984،ص 21.

[4] عبد العزيز محمد الشناوي: أوروبا في مطلع العصور الحديثة ،ج1،مكتبة الأنجلو المصرية،القاهرة،2011، ص 276.

[5]المرجع نفسه ص ص 277-278.

[6]حنا ويكيلف: أستاذ علم اللاهوت بجامعة إكسفورد،وكان من أشهر الوعاظ في إنجلترا ولم يكن له اهتمامات واضحة بالسياسة إلا أنه تأثر بإنتقال البابوية إلى أفينيون و خضوعها إلى فرنسا ،اختير ويكيلف ممثل إنجلترا في اجتماع1374م لحل الخلافات القائمة بين إنجلترا و البابوية و فرنسا و عقد الصلح بينهم .أنظر:عبد العزيز سليمان نوار،محمود محمد.جمال الدين:التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي ، مدينة نصر،1999،ص 112.

المالي الذي كان متفشيا بين رجال الدين، فضلا عن ذلك قد ندد بتركيز السلطة على يدهم معتبرا أن السلطة الروحية يجب أن تكون مقيدة بالكتاب المقدس[1] و ليس بالسلطة الكنسية، و لقد ظهر كذلك حنا هس"Hanna Hesse"[2] البوهيمي (1370-1415م) الذي أفصح لعن عدم رضاه بالحياة الفاسقة للكهنة و عارض فكرة صكوك الغفران و أكد أن تعاليم الدين يجب أن تكون متوافقة مع الكتاب المقدس[3].

2-دوافع فكرية:

- **انتشار الفكر التحرري القومي:**

ساهم نمو الشعور القومي في هذه الفترة في دفع الصراع ضد الكنيسة التي كانت تعتبر مؤسسة عالمية ذات نفوذ كبير، وهذا يعني أن حركة الإصلاح الدين قد تزامنت مع مد القومية الصاعدة، فالحواجز القديمة قد زالت وعمت أوروبا روح التحرر الفكري الذي كان متوهجا تحت رماد المعرفة التقليدية.[4]

لقد ظهرت الحركة الإنسانية[5] التي تنطوي على حقد حاد للكنيسة الكاثوليكية[6] ، فقد دعا المفكرون الإنسانيون أمثال إرازموس "Erasmus" و توماس مور" Thomas

---

[1]الكتاب المقدس: يطلق على مجموع الأسفار الإلهية التي كتبها القديسون مسوقين من روح القدس المكونة للعهدين القديم والجديد و المؤلفة ل73سفرا.أنظر:أبو داود، الكتاب المقدس،دراسة موجزة في معرفة الوحي و عصمة الكتاب المقدس، ط1 call of hope،ألمانيا، ص ص 4- 6 .

[2]حنا هس:ولد سنة 1370م و حصل على إجازة اللاهوت سنة 1393 م ثم رسالة ماجيستار الآداب ، وقد امتازت تعاليم هس بأنها مزجت بين اللاهوت و الفلسفة حيث أنه تأثر بفلسفة أرسطو وظهر ذلك في ثقافته الممزوجة بين اللاهوت و الفلسفة ، وكان من المتحمسين لإصلاح مفاسد الكنيسة .أنظر:عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق، ص 114.

[3]شوقي الجمل'عبد الله عبد الرازق، تاريخ أوروبا، د.ط ،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة 2000 م، ص44.

[4]محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي (عصر النهضة)،ط1،دار الكتب اللبناني و مكتبة المدرسة،1983 ،ص111.

[5]الإنسانية:ارتبطت الحركة بإحياء التراث وقد أطلق اسم الإنسانيين على هذه الحركة لأن المعنيين بها كانوا يهتمون بدراسة الإنسان نفسه وهو أمر جديد، ذلك أن العصور الوسطى تنامت انسانية الإنسان فتفشت أفكار التقشف والصوم، وإذلال الجسد وإهماله فكانت صورة الإنسان عندهم تمثل القوة و الإيمان بالذات و الثقة بالنفس فهو فنان و أديب و شاعر محب والجمال.أنظر:محمد مظفر الأدهمي :تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة – الثورة الفرنسية القرون 16- 18م. ميلادية، ط2، د.د،2011، ص 50.

[6]الكاثوليكية:أصل كلمة كاثوليكيcatholiqueهو اللفظ اليوناني"katholiikes"وتعني العامي أي أنها الديانة العالمية العامة ويمثل الكاثوليك أكبر مجمع نصراني في العالم و يقود هذه الطائفة(أسقف روما)وهو البابا مقره دولة الفاتيكان.أنظر:محمد

more" العودة إلى النصوص الأصلية للكتاب المقدس مثل العهدين القديم و الجديد بدلا من الاعتماد على الجمود العقلي الذي فرضته الكنيسة و كان لهم دور فعال في تقويض النظام الكنسي التقليدي و تفكيك سلطته ما مهد الطريق لظهور الإصلاح الديني البروتستانتي.[1]

3-دوافع سياسية واقتصادية:

قيام الملوك الأوروبيين بتوسيع سلطتهم السياسية على حساب سلطة البابا والإمبراطور و ذلك لقوتهم خاصة ملوك اسبانيا و فرنسا و انجلترا، و قاموا بتكوين جيوشهم و بالتالي اقتصر دور البابا على الزعامة السياسية لدولة أجنبية ليس له الحق في بسط نفوذه أو سيطرته.[2]

رغبة بعض الملوك الألمان في التخلص من سيطرة كنيسة روما و تجاوزاتها حتى تصح لهم أملاكها و الأموال الباهظة التي كانت تستولي عليها[3] ،كما أن الكنيسة تطرأ عليها نوعا ما من التشتت بسبب الصراع على الأقليم السياسية التي تحتوي على الإيرادات المالية، سعى الملوك للسطو عليها و تحويلها إلى استثمارات.

ما أدى إلى احتدام النزاع مع أمراء كل من ألمانيا و أمراء أراغون في **إسبانيا** و اندلاع ثورات فلاحية مناوئة للقمع السياسي و الديني.[4]

ثانيا- الإصلاح الديني في ألمانيا (1517- 1546م):

ظهر مارتن لوثر في ألمانيا الذي ثار على كنيسة روما خلال العصور الحديثة و هو أبرز من حمل للعصيان بوجه البابا.

بن علي بن محمد آل عمر،الطائفة الكاثوليكية فرقها و عقائدها و أثرها على العالم الإسلامي (أطروحة دكتوراه في تخصص عقيدة)، كلية الدعوة وأصول الدين،جامعة أم القرى،المملكة العربية السعودية، ،2007،ص63

[1]د.عبد الفتاح حسن أبو علية،د.إسماعيل أحمد ياغى:تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر،ط3،دار المريخ للنشر،المملكة العربية السعودية ص85.

[2]عبد العزيز محمد الشناوي، المرجع السابق،ص ص 268-269.

[3]زين العابدين شمس الدين نجم:تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، ط2، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة ،عمان_الأردن،2016 ص 120.

[4]أشرف صالح محمد السيد:أصول التاريخ الأوروبي الحديث،ط1،دار المسيرة للنشر الإلكتروني، الكويت،2009م ،ص54.

ما أثار انتباه لوثر[1] "Luther" عند زيارته روما سنة 1511 م على أساس أنه ممثل القديس أوغسطينوس "Augustin"[2] **(انظر الملحق 1)** هو الانحلال الخلقي الذي وجده لدى رجال الدين و هي بمثابة منعرج خطير في حياته و هذا ما يؤكده تصريحه : " إن كل من يذهب إلى روما يشعر أن عقيدته الدينية تترنح تحت الضربات التي تصبه من جراء ما يرى هناك" ذلك أثار نقمته على رجال الدين، و في هذا السياق انتابته شكوك و مخاوف حول عقيدته الدينية و استوعب بعد تدبره في العقيدة أن الخلاص من الخطايا لا يقتصر على العبادات فقط و لضمان الجنة لا بد الإيمان بالله، لقد استرشد لوثر من خلال الكتاب المقدس و رسالة بولس " **إلى مسيحي روما** " أن التوبة تكون بالثناء على الرب.[3]

كما استمر لوثر في إيلاء اهتمام وثيق لبعض السلوكيات الغير الأخلاقية من قبل الكهنة الألمان المسيئة للعقيدة المسيحية، أحسن دليل على ذلك صكوك الغفران التي تباع من طرف رجال الكنيسة للناس بإ دعائهم الطرق الملائمة ليكفر المرء عن ذنبه، إذ أن الكهنة استغلوا جهل الأفراد و تخوفاتهم من خلال تأدية وساطة مزيفة بين الشخص و الإله.[4]

---

[1]لوثر (1483_1546) :ولد في سكسونيا وهو راهب أوغسطيني في إرفورت، عين كاهنا في عام 1507م، وتم تعيينه لأول مرة نائبا للدير في روتنبرغ، في عام 1512 أستاذا لتفسير الكتاب المقدس .أنظر

Carl Aderhold : Petit larousse de L'histoire du monde en 7000 dates, larousse, Paris,2006,p339.

[2]أوغاسطينوس(354_430م): أعظم فيلسوف في العصور الوسطى ،ولد في "طاغاست" في إفريقيا الرومانية، تم ترسيمه سنة كاهنا في أبرشية المدينة البحرية هيبو رجيوس.أنظر تركي طوهري: "القديس اوغسطين" ، تر:ناصر الحلواني ، مجلة الحكمة ،2020،ص ص 6-7.

[3]د.عبد الحفيظ مرسم، واقع الإصلاح الديني في ألمانيا من اللوثرية الألمانية إلى البروتستانتية الأوروبية مجلة المتون، مج:14،ع:01، جامعة مولاي الطاهر سعيد ،2001،ص ص 71-72.

[4]سفيان البراق "ملامح الحداثة الألمانية: الإصلاح الديني و الاكتشافات العلمية كنموذجين" ، **مجلة الحكمة للدراسات العلمية** ، مج: 10 ع: 3 ، جامعة شعيب الدكالي الجديدة، المغرب ، 2022م ، ص 57.

ففي عصر ليو العاشر[1] "Léo X" ساد الإنحلال الأخلاقي إذ أصبح الخطاء يشتري صكا مقابل الصفح عنه، فمن المفروض محو الخطيئة و الإعفاء عن العقوبات تكونان من الله[2]

كانت لحركة مارتن لوثر "Martin luther" عدة مبادئ تتمثل في :

- كتاب الإنجيل هو المصدر الوحيد للديانة المسيحية و ليس حق للبابا في احتكار تفسيره
- ليس من حق كنائس البروتستانت القيادة العامة،إذ لكل كنيسة قيادتها ووظيفة القيادة العامة هي إرشاد أولئك الذين لا يفقهون كتاب الإنجيل.
- حق غفران السيئات ليس حكرا على الكنيسة.
- ترجمة كتاب الإنجيل إلى مختلف اللغات حتى يتمكن الناس من قراءته بلغات مختلفة والصلاة و الدعاء باللغات التي يتقنونها.
- عدم تحويل العشاء الرباني الأخير إلى جسد المسيح بل هو مجرد ذكرى.
- إباحة الزواج للقساوسة و عدم الاعتراف بالنظام الرهباني .
- ترك الصور و التماثيل في الكنائس و الإبتعاد عن السجود لها لأن ذلك أقرب إلى عبادة الأصنام.

كما أن لوثر قد استوعب عدة أمور و هي أن كل مسيحي بمثابة قسيس و أن بابل يطلق على روما و أن المسيح الدجال بمثابة البابا و تأكيد شرعية الطلاق له أيضا وختم نزاعاته مع روما بغرض الإصلاح في رسائله الثلاثة المشهورة[3] الأولى تحت عنوان" إلى النبلاء المسيحيين في الأمة الألمانية " حيث دعا فيه النبلاء الألمان إلى الإصلاح داخل الكنيسة الكاثوليكية و انتقد الفساد الأخلاقي الشائع فيها ، و الرسالة الثانية " السبى البابلي " حيث

[1]ليو العاشر (1475–1521م): بابا روما (1513–1521م) فلورنسي إسمه الحقيقي جيوفاني دي ميدتشي إبن لورنتو دي ميدتشي ، أصبح كاردينال و لا يزال صبي، و صار عميد لأسرته قبل أن يبلغ الثلاثين ، تقوم شهرته على رعاية الفنان رفاييل ، بنيت في عهدته كاتدرائية القديس بطرس . أنظر مولى علي : الموسوعة العربية الميسرة ، ط1 ، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت –لبنان، 1998م ص 2942.

[2]أشرف صالح محمد السيد ، المرجع السابق، ص 100.

[3]صلاح أحمد هريدي، أوروبا في مطلع العصور الحديثة حتى سقوط نابليون بونابارت 1814م، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، 2010م ، ص135 .

أشار فيها إلى الأسرار الكنسية و الممارسات الدينية التي يعتبرها مقيدة للإيمان الحقيقي و الحرية الدينية ، و الرسالة الثالثة المعنونة بـ :" حرية المسيحي " استعرض فيها مفهوم الحرية المسيحية و العلاقة بين الإيمان و الأعمال.[1]

و الجدير بالذكر أن البابا طلب من الإمبراطور شارل الخامس"CharlesV" [2]أن ينتقم من لوثر و ينفذ حرمانه الكنسي ، و عقد الإمبراطور مجمعا في جانفي1521م في مدينة فورمز[3] " Worms " لمناقشة آراء لوثر وطلب منه هذا الأخير سحب جميع كتاباته فجوابه كان بالرفض طالما أنه لا يتعارض مع كتاب الإنجيل أو المنطق، و في هذا الصدد صدر قرار فورمز بعملية طرد لوثر مع إباحة قتله[4].

و في تلك الأثناء وضع مارتن لوثر تحت رقابة الإمبراطور و أتيحت له العودة إلى منزله خلال سيره تعرض للاختطاف من طرف جماعة من الملثمين فنقلوه إلى قلعة وتنبورج و كان وراء اختطافه صديقه فريدريك حاكم ساكسونيا الذي قرر أن يبقيه في أمان خلال عشرة أشهر حيث استغلها مارتن لوثر في ترجمة كتاب الإنجيل إلى اللغة الألمانية.[5]

1-الحركات المنبثقة عن دعوة لوثر:

و قد ارتبط بحركة مارتن لوثر ثلاثة حركات متطرفة و هي :

---

[1]إسماعيل احمد ياغى،المرجع السابق، ص91.

[2]شارل الخامس(1500_1558م):إمبراطور(1519_1558) و ملك إسبانيا باسم شارل الأول (1516-1556م) إبن فيليب الأول و جوانا ملكة قشتالة ، أعظم أباطرة آل هابسبرغ ، تغلب في الانتخابات الإمبراطورية على كبار منافسيه فرانسيس الأول ملك فرنسا و هنري الثامن،شارك في الحروب الإيطالية(1494- 1559) أنظر:شفيق غربال، المرجع السابق، ص 2064.

[3]فورمز: مدينة تقع غربي ألمانيا على الراين، وهي مركز لتصدير الخمور الراينية، كانت مسرحا للأحداث التاريخية، أعلن مجمع فورمز1176م خلع البابا جريجوري السابع، اتفاق فورمز الذي أنهي الصراع بين الإمبراطور هنري الخامس و البابا كالكستوس الثاني حول تقليد الأساقفة .انظر: محمد شفيق غربال،المرجع السابق، ص 1332.

[4]صالح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص202.

[5]أشرف صالح محمد السيد المرجع السابق، ص102.

- **حركة التعميد :**

معروفة أيضا بـ: " الأتابابتين" ، ظهرت هذه الحركة في مدينة تزفيكا سنة 1521م على يد مجموعة من اللاهوتيين الداعمين للوثر، من أبرزهم توماس مونزر" Thomas Monzer"

الذين رفضوا تعميد الأطفال مؤكدين أن المعمودية يجب أن تكون للبالغين الذين يعبرون عن إيمانهم الشخصي ، و قد عرفت هذه الحركة بالتطرف لأنهم انتهجوا أسلوب العنف و على إثر هذا حدثت اضطرابات دامية عرضت الحركة اللوثرية [1] للخطر، لهذا تحالف بعض الأمراء البروتستانت مع الهياكل الدينية لسحق هذه الحركة و القضاء على زعمائها[2].

- **حركة الفرسان :**

الفرسان كانوا محترفين، يتميزون بمهارات عالية في القتال على ظهور الخيول ، و كانت مشاركتهم في الحرب تعد وسيلة لكسب الثروة و الاستيلاء على السلطة ، و قد دفعتهم أحوالهم المتردية إلى التعويض عما وصلوا إليه بمحاولة استخدام القوة القاسية ، لذلك قاموا بثورة مستغلين دعوة لوثر كذريعة للهجوم على الكنائس و الأديرة و حطموا التماثيل و أزهقوا الأرواح ، و كان أبرز الفرسان الثائرين أولرخ فون هتن و فراتز فون سكنجن ، و خطط الإثنان لشن حرب على مدينة تريف " Trives "ظنا أنهما سيحصلان على الدعم من المدن المجاورة و لوثر لم يكن موافق على استعمال القوة لمساندة حركة الإصلاح الديني ، كما رغب بعض الأمراء فض حركة الفرسان فنجحوا في ذلك.[3]

- **حركة الفلاحين:**

[1]اللوثرية: من أكبر الفروع في المسيحية البروتستانتية و تستند إلى تعاليم و أفكار لوثر الراهب الألماني التي نشرها بداية من 1517م .أنظر : كريستوفر هوفيتز،"اتجاهات الفكر البروتستانتي" ، **مجلة التفاهم**، ع: 42،2013 ، ص 155.

[2]زين العابدين شمس الدين نجم، المرجع السابق، ص135.

[3]عمر عبد العزيز عمر، دراسات في التاريخ الأوروبي و الأمريكي الحديث ، د. ط ، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية 1992م.

كان الفلاحون قد استمالتهم دعوة لوثر إلى الحرية والإنسانية، فتبنوا هذه الآراء هذه التي استثارت فيهم الحماس للقيام بثورة ضد السلطة، فالفلاح الألماني كان قنا للأرض معرض للاضطهاد والتعسف بسبب عدم وجود ضمانات قانونية تحمي حقوقه.[1]

انتشرت هذه الثورة في كل من الحوض الأدنى لنهري الألب وسكسونيا و كارثيثيا وتمحورت مطالبهم حول ما يلي:

- الرق ومعاملة الفلاحين وفق تعاليم الكتاب المقدس بدلا من اعتبارهم عبيد.
- تحقيق العدالة في تقدير قيمة الإيجار للأراضي الزراعية وتخفيف ضريبة العشر، حق الصيد.
- الحق في اختيار رجل الدين وفق رغباتهم.

رغم انتماء لوثر إلى هذه الطبقة إلا أنه وقف ضدها و نعتهم بـ : " **المخربون** " لأنه يرفض استخدام العنف كوسيلة لتحقيق التغيير و لقد قام بالتحريض ضدهم[2].

وفي ماي 1525 م تعرض الفلاحون لهزيمة ساحقة في معركة فرانكهاوزن أمام قوات الأمراء الألمان حينها طبق الإعدام على منفذي الثورة وقائدهم مونزر[3].

2-موقف الإمبراطور من الحركة اللوثرية:

بدأت الأفكار البروتستانتية تجذب دعما كبيرا من بعض الأمراء الألمان مما زاد من حدة التوترات الدينية داخل الإمبراطورية، فشارل الخامس كان يواجه صراعات متعددة بما في ذلك حروبه مع فرنسا من جهة و العثمانيين من جهة أخرى ، و لهذا كان من الضروري للإمبراطور محاولة إيجاد تسوية مؤقتة لتفادي الانقسام الديني ، فعقد مجلس إمبراطوري في بلدة " سبير" سنة 1526م ، و الذي تقرر فيه تعليق تنفيذ "مرسوم فورمز"، و منح الأمراء الألمان حرية اختيار الدين في أراضيهم لكن تم إلغاءه سنة 1529م فإحتج اللوثريون على

[1] عبد الحميد البطريق، عبد العزيز نوار، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر، د.ط، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1997م ص ص 94- 95.

[2] عبد العزيز سليمان نوار المرجع السابق، ص ص 125-126.

[3] أحمد صالح عبوش، تاريخ أوروبا في عصر النهضة، ط1، دار الفكر،الموصل، 2020م، ص203.

ذلك.[1] و في سنة 1530 م عقد المجلس الإمبراطوري اجتماعا آخر بهدف التوصل إلى حل للخلافات الدينية بين الكاثوليك و البروتستانت.[2]

تفطنت الولايات البروتستانتية المخاطر التي تواجهها بسبب تهديدات الإمبراطور و قراراته التي كشفت عن انحيازه الواضح للكاثوليكية ، و لهذا تم تكوين تحالف عسكري باسم "حلف شمالكالد" 1530م للدفاع عن عقائد البروتستانتية بقوة، و لقد أدى الوضع إلى التنبؤ بوقوع مواجهة عسكرية بين الكاثوليك و البروتستانت ، و في هذه الحالة وقع الإمبراطور في مأزق بسبب حروبه مع خصميه فرنسا و العثمانيين و البروتستانت الألمان[3]، و خرجت الأمور عن السيطرة، و في الأخير تم عقد "صلح أوغسبرغ" سنة 1555م و بموجبه يحق لكل أمير أن يقرر الدين الرسمي لمقاطعته،هذا الصلح كان خطوة هامة نحو تقليل النزاعات الدينية و لكنه لم يحقق سلاما دائما، و لقد استمرت الخلافات بين الطوائف الدينية (البروتستانت و الكاثوليك) في ألمانيا، فهذا الصلح بمثابة تعميق للإنشقاق المسيحية.[4]

إنتشرت اللوثرية في أوروبا الشمالية و المانيا الشمالية الغربية في حياة مارتن لوثر،ثم ما لبثت أن انتشرت هذه الأفكار في انجلترا، في الممالك الإسكندينافية (الدنمارك،السويد)[5].

ثـــالـــــثا-الإصلاح الديني في سويسرا:

في القرون الوسطى كانت سويسرا عبارة عن مجموعة من الكانتونات التابعة للإمبراطورية، و في عهد الإمبراطور ماكسيميليان (1493-1519م) تكتلت فيما بينها لتشكل الإتحاد السويسري الذي يتمتع بالإستقلال الذاتي، و قد تسللت إليها الحركة البروتستانتية بقيادة كل من زوينجلي" Zwingli " و كالفن".[6] "Calven".

---

[1]د.جلال يحي، أوروبا في العصور الحديثة_الفجر_،د.ط،الهيئة المصرية العامة للكتاب،الإسكندرية،2002ص445.

[2]ميلاد مقرحي، تاريخ أوروبا الحديث1453_1848م، ط1، دار الكتب الوطنية، بنغازي، 1996م ، ص92.

[3]عبد العزيز سليمان نوار، المرجع السابق ص 129.

[4]محمد مخزوم، المرجع السابق ص 122.

[5]ليلى الصباغ، تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ط2، منشورات جامعة دمشق، د.س، د.ن ص 126.

[6]حسن صبحي، محاضرات في التاريخ الأوروبي الحديث،ج1،د.ط، مؤسسة شباب الجامعة،د.م،1975م ص 93.

- **حـــركة زوينجلـــي:**

هاجم المصلح السويسري زوينجلي نظام المرتزقة الذي كان شائعا في سويسرا ، و في تلك الحقبة كان بلده معروف بتوظيف الجنود للعمل كمرتزقة في الجيوش الأوروربية، ولهذا إعتبر زوينجلي هذا النظام يتنافى مع المبادئ المسيحية،و لقد تفاعلت معظم المقاطعات السويسرية مع دعوته الإصلاحية و امتنع عن المشاركة في حروب شارل الخامس و فرانسوا الأول[1] " François I" احتج على صكوك الغفران كما فعل لوثر حيث إعتبرها شكل من أشكال الفساد الديني و الإستغلال المالي للمؤمنين فحسب إعتقاده لا يوجد لها أساس كتابي و أن الغفران الحقيقي يأتي بالتوبة و الإيمان بالله،كان لأفكاره اللاهوتية تأثيرا كبير في توسيع نطاق حركته البروتستانتية من زيوريخ إلى مدن أخرى مثل بورن " Born" و بال [2] " Pall" و أعلن عن إنفصاله عن كنيسة روما سنة 1522م[3].

هناك جدال بين لوثر و زوينجلي حول تفسير بعض القضايا الدينية ، لقد عارض زوينجلي لوثر في قضية القربان فهو يروج لفهم رمز القربان حيث يعتبر الرغيف و القربان ليس جسدا و دما حقيقيين للمسيح بل رمزا لهما، و كان يؤمن بأن الكنيسة يجب أن تكون مؤسسة ديموقراطية حين يشارك المؤمنون في إتخاذ القرارات المتعلقة بالكنيسة، بينما لوثر يعتبر أن الأمير الحاكم المدني له الحق في تنظيم شؤون الدولة و إصدار القوانين المدنية.[4]

خلال سنة 1528م برز الإنشقاق بين أنصاره البروتستانت و خصمه من الكاثوليك فنشبت الحرب مرتين بين المجموعتين بمشاركة زوينجلي فيها، و في سنة 1531م لقي حتفه في معركة كابل و أحرق الكاثوليك جثته،و في النهاية تم الصلح بين الطرفين في سنة

[1]صالح أحمد هريدي، المرجع السابق ص 154.

[2]علي تسن فرغلي، المرجع السابق ص 58.

[3]عدد 1 مجيد نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة 1453-1848م،د.ط،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، 1983، ص 125.

[4]عبد الفتاح حسن أبو علية،المرجع السا بق ص101.

1532م تقرر لكل إمارة الحق في الإحتفاظ بعقيدتها الخاصة و تقرير إختيار المذهب الديني وفق مشيئتها.[1]

- **حـــركة كالفـــن:**

تخلى كلفن عن الوظائف الدينية سنة 1534م ليتفرغ الى تنقيح الكنيسة الكاثوليكية فتعرض للاضطهاد من طرف ملك فرنسا فرانسوا الأول ما دفع به للهجرة إلى جنيف بسويسرا سنة 1536م، و كانت هذه المدينة تابعة للإمبراطورية المقدسة خلال القرن السادس عشر،تقع عند ملتقى المواصلات مما جعلها مركزا تجاريا بارزا أهلها للحصول على الإستقلال مثلما كان الحال مع القوميات على بعض الدويلات الإيطالية في العصور الوسطى و نظرا لتسلط البابوية و فرضها القيود على المقاطعات دفع بعض المجددين أمثال غليوم فارل" Guillaume Farel " إلى الدعوة للأفكار البروتستانتية ، فوجد تأييدا عند معظم الأهالي الذين رفضوا الشعائر الدينية التي تفرضها البابوية و أصدروا مرسوم 1536م الذي يقضي التحرر من سلطة الكنيسة و تبني البروتستانتية كعقيدة لهم[2].

أصدر كتابه" تعاليم الديانة المسيحية" بين فيه مفاهيم جديدة لحركة الإصلاح الديني فهو عبارة عن خلاصة التعاليم البروتستانتية .[3]

لقد اتفق كالفن مع لوثر في ضرورة الإعتماد على الكتاب المقدس كمصدر أساسي للعقيدة و الإيمان و ذلك كان يطبق الإعتناق القسري حيث أجبر اللوثريين للإنضمام إلى مذهبه كما اختلف كالفن مع زوينجلي في قضية الدولة و الكنيسة حيث يؤيد فصل الكنيسة عن الدولة مع تأكيده على استقلالية في شؤونها الداخلية ولا تتدخل الدولة في ذلك، فضلا عن ذلك أظهر كالفن إهتماما كبيرا بتنظيم الحكم و القوانين المدنية بطريقة تكريس العدالة[4].

لقد اتسمت تعاليم كالفن بالشدة و الجدية هذا ما دفع الناس ينفرون منها الى حد ان كالفن أجبر على مغادرة جنيف "Genève" سنة 1538م وعاد إليها مرة أخرى سنة

---

[1] عبد الحميد البطريق ،المرجع السابق،ص108 .

[2] محمد مخزوم، المرجع السابق،ص ص 130-131.

[3] ميلاد مقرحي ، المرجع السابق ص 101.

[4] ميلاد مقرحي، المرجع السابق ص 101.

1541م بطلب من أهالي جنيف لإضطراب الأحوال الدينية فيها، مكث فيها حتى وافته المنية سنة 1564م[1].

وقد انتشرت الكالفنية في سويسرا غربي ألمانيا،الأراضي المنخفضة، بوهيميا، هنغاريا بولونيا.

وفي فرنسا قد لاقت دعما من بعض الحكام المحليين في هذه المدن ممّا سهل توسعها علاوة على ذلك النظام الكنسي الكالفيني ساعد على ترسيخ العقيدة المسيحية[2].

في سنة 1559 عقد أول مجمع للكنيسة الكالفنية في باريس تحديد بصورة علنية واضحة معتقدات

بناء على الأفكار التي طرحها كالفن[3].

رابـــعا-الإصلاح الديني في إنجلترا:

1-عهد هنري الثامن:

تربع هنري الثامن [4] " Henri VIII"على العرش سنة 1509م، و تزوج كاترين" Catherine " الأرغونية زواجا سياسيا لكسب صداقة المملكة الإسبانية، و لقد رفض البروتستانتية مقدما ولاءه لبابا روما الذي منحه بدوره لقب "الدافع عن الإيمان"، و هذا الأخير كانت له رغبة شديدة في أن يكون له ولي العهد ليخلفه إلا أن زوجته أنجبت له إبنة ، واحدة ماري "MARRY"مما دفعه لإتخاذ قرار الطلاق للتزوج من إحدى وصيفات البلاط آن بولين " ANNE BOLEYN"، لذلك حاول أن يقنع بابا روما بإلغاء قراره السابق بشرعية زواج هنري من خطيبة شقيقه ، لكن البابا أبى ، لم يتمالك هنري نفسه فبعد فشل المفاوضات التي قام بها وزيره ويلسي "WILSEY" طلق الملكة كاترين معارضا البابا و ردا على موقفه قرر البابا

[1]عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق ص103.

[2]ليلى الصباغ، المرجع السابق ص166.

[3]ميلاد المقرحي ، المرجع السابق ص 102.

[4]هنري الثامن(1491_1547): ملك إنجلترا(1509_1547)تزوج من أرملة أخيه كاترين أراغون ،عقد توماس ولزي كبير وزراءه حلفا مع فرنسا ولكن هنري بالرغم من معركة الملابس الذهبية انضم سنة 1522م إلى شارل الخامس ضد فرنسا،تمكن من إدماج ويلز في مملكته سنة 1536وشهدت فترة حكمه سيرا تدريجيا نحو البروتستانتية.أنظر مولا علي المرجع السابق ص 3522.

كليمانت السابع"CLEMENT VII" إمضاء قرار الحرمان الكنسي و بذلك حدثت القطيعة بين إنجلترا و روما و كنيستها الكاثوليكية. و في عام 1534م أصدر البرلمان الإنجليزي قرارا يجعل الملك هنري الثامن رئيسا للكنيسة الأنجليكانية [1]و هكذا أمر هذا الأخير بمصادرة كل أملاك الأديرة و الممتلكات الكاثوليكية في إنجلترا[2].

هنري الثامن بالرغم من نفيه لسلطة البابا و إنشاء الكنيسة الأنجليكانية إلا لم يتجه إلى أنه الإصلاحات الدينية التي نادى بها البروتستانت و الكاثوليك هذا ما جعله يواجه إعتراضات حادة من كلا الطرفين ، و قد عوقب كل من خالفه الرأي بالموت أمثال ذلك "توماس مور" والأسقف فيشر"Fischer" اللذان إمتنعا عن الإعتراف بسلطة الملك على الكنيسة الإنجليزية،فكان جزاءهما الإعدام[3].

2-عهد إدوارد السادس(1547-1553م):

بعد وفاة هنري الثامن تولى إبنه إدوارد السادس[4] "EDOUARD VI" العرش و هو طفل لذلك تم تعيين مجلس وصاية لإدارة شؤون الدولة حتى يبلغ السن القانونية،و قد عين خاله الدوق سومرست Somerset "حامي المملكة و قد شهدت فترة حكمه العديد من الإصلاحات الدينية وتتمثل في إصدار "كتاب الصلاة العامة " BOOK OF COMON PRAYER" سنة 1549م و هي أول محاولة لتوحيد الطقوس الدينية للكنيسة الإنجليزية بإستعمال اللغة الإنجليزية بدلا من اللاتنية و في نفس السنة أصدر البرلمان قوانين لدعم

[1]الكنيسة الأنجليكانية: مصطلح الأنجليكان لوصف الناس و مؤسسات الكنائس فضلا عن التقاليد الدينية و الطقوس و المفاهيم المستخدمة التي أنشأت في كنيسة لوصف الناس و مؤسسات الكنائس فضلا عن التقاليد الدينية و الطقوس و المفاهيم المستخدمة في كنيسة إنجلترا،الأنجليكانيون تقليديا يؤرخون نشأة كنيستهم إلى كبراء أساقفة "كانتربري"القديس أوغسطين في القرن 16م،لكن المصادر في مجلس الكنيسة تمتد إلى أبعد من ذلك بعد ان اكتسبت المسيحية أول موطئ قدم اثناء الإحتلال الروماني قبل القرن الخامس .أنظر:أشرف صالح محمد السيد ،المرجع السابق ص130.

[2]جفري برون، تاريخ أوروبا الحديث تر:علي المرزوقي، ط1،الأهلية للنشر والتوزيع،عمان، 2006 ص195-196.

[3]ليلى الصباغ، ليلى الصباغ المرجع السابق ص ص126-127.

[4]إدوارد السادس (1537_1553):خلف أباه هنري على العرش(1574_1553)بإشراف مجلس وصاية كان يسيطر عليه خاله سيمور دوق سمرست خفت وطأة حكم آل تيودور المطلق بإصلاح قوانين الخيانة العظمى والهرطقة، بعد وفاته نشب نزاع حول العرش عند تنصيب ليدي جين غراي كملكة، كانت الخطوة مدعومة من دوق نورثمبرلاند الذي يطمح للحفاظ على نفوذه السياسي إلا أن ماري الأولى أطاحت بهما. أنظر: محمد شفيق غربال المرجع السابق ص 103.

البروتستانتية بما في ذلك قانون الوحدة الدينية" ACT OF UNIFORMITY " و قانون الأوامر الدينية ،كما تم ترسيخ الوعظ و التعليم البروتستانتي في كل أرجاء البلاد[1].

3-عهد ماري تيودور (1553-1558م):

تولت ماري [2]العرش في عام 1553م بعد وفاة أخيها الغير الشقيق إدوارد السادس فبمجرد وصولها إلى الحكم عملت على إحياء الكاثوليكية و جعلها ديانة رسمية لإنجلترا، فضلا على ذلك ألغت القوانين البروتستانتية التي أقرها البرلمان خلال حكم أخيها،و أعادت إنجلترا إلى طاعة البابا و الكنيسة الكاثوليكية في روما كما بدأت ماري حملة إضطهاد واسعة ضد البروتستانت حيث تم تنفيذ العديد من الإعدامات بتهمة الهرطقة،إذ تم حرق العديد من الأبرياء بمساعدة الأسقف كاردنار " CARDINAL "، و قد تزوجت سنة 1553م من فيليب الثاني" PHILLIPE II " ملك إسبانيا بهدف تعزيز التحالف مع إسبانيا الكاثوليكية لكن هذا الزواج كان غير شعبي في إنجلترا و أثار إستياءا كبيرا، و كانت فترة حكمها مضطربة حيث إستعملت العنف لكثلكة الشعب الإنجليزي ما أدى إلى تفاقم التوتر الدين[3].

4-عهد إليزابيث الأولى (1558-1603م):

عندما وصلت إلزابيث الأولى [4] "Elizabeth I" إلى الحكم عام 1558م عزمت على تحقيق توازن و استقرار ديني في البلاد حيث أعادت تأكيد إستقلال الكنيسة الإنجليزية عن الكنيسة الكاثوليكية في روما " ROMA "من خلال إصدار قانون السيادة 1559م و بموجبه أصبحت الحاكم الأعلى للكنيسة الإنجليزية و قد فرض هذا القانون إستخدام كتاب

---

[1]شوقي الجمل: المرجع السابق ص 64.

[2]ماري الأولى(1516_1558): ملكة إنجلترا حكمت (1553_1558)ابنة هنري الثامن من زوجته كاترين أميرة أراغون اعترف بها كطفلة غير شرعية بعد وفات والديها ولا يحق لها اعتلاء العرش، لكن البابا أبرأها من هذه التصريحات التي أخذت منها قسرا بقيت موالية لمذهبها الكاثوليكي .أنظر: مولى علي المرجع السابق ص 2969.

[3]ليلى الصباغ ، المرجع السابق ص129.

[4]إليزابيث الأولى(1533-1603) ملكة إنجلترا(1558-1603)ابنة هنري الثامن من آن بولين، أعلن البرلمان أنها غير شرعية بعد إعدام امها،لكن ألغي القرار 1544م ، و أعاد لها حقها في وراثة العرش ، سجنتها أختها الملكة ماري عند اعتلاءها العرش،عرفت فترة حكمها الإنشقاق الديني، فشلت في حربها ضد فرنسا إلا أن في عصرها كانت إنجلترا تملك أسطول بحري قوي و راجت تجارتها وصناعتها. أنظر: مولا علي، المرجع السابق ص407.

الصلاة المشترك البروتستانتي في جميع الكنائس البروتستانتية، كما حققت التسوية الدينية بين المذهبين المسيحيين لتهدئة الأوضاع، و لكن في نفس الوقت فرضت قيودا على الكاثوليك الرافضين الإنضمام إلى الكنيسة الكاثوليكية ، و قد أدت هذه الإصلاحات إلى تحقيق نوع ما من الإستقرار الديني بعد سنوات من الإضطرابات [1].

المبحث الثاني: الإصلاح الكاثوليكي المضاد و الصراع الديني في أوروبا:

أولا-الإصلاح الكاثوليكي المضاد:

1-مجمع ترنت:

هو مجمع مسكوني لكنيسة كاثوليكية، دعي من قبل البابا بولس الثالث "Paul III" تم عقده ما بين (1545-1563م) في مدينة ترينتو شمال إيطاليا ، تألف المجمع من عدة جلسات حيث تم تنظيمها بشكل دوري لمناقشة و تحديث القرارات التي يتعين تنفيذها،بعض هذه القرارات تتمثل في :

- تأكيد عقائد الكنيسة الكاثوليكية مثل عقيدة التجديد بأن الكتاب المقدس يشكل مصدر وحيد للإيمان المسيحي، الصلوات إلى القديسين،الحج إلى المزلقان و كذلك مقاومة الأخطاء البروتستانتية التي انتشرت في البقاع الكاثوليكية.
- تنظيم الطقوس الكنيسية بشكل أكثر ترتيبا و وضوحا حيث تم تحديد تفاصيل أكثر دقة.
- لطقوس القداس الإلهي بما في ذلك الصلاة و كذلك تأكيد العقيدة بوجود الأسرار السبعة[2].
- مكافحة الهرطقات و الإصلاح الداخلي للممارسات الدينية الغير السوية بما في ذلك تقويض الفساد[1].

---

[1]ليلى الصباغ، المرجع نفسه ص 131.

[2]الأسرار السبعة: هي إشارات مقدسة سنها المسيح لاستقرار رحمة الله وتطهير روح الإنسان وهي سبعة :التعميد،التثبيت، المتاولة، سر التوبة، مسحة المرضى، سر الكهنوت ،الزواج أنظر:زينب عصمت راشد، تاريخ أوروبا الحديث من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر،ج1، د.ط، دار الفكر العربي،القاهرة، د.س ص160.

2-الجزويت (اليسوعيون) :

هي منظمة دينية تم تأسيسها سنة 1534م من قبل إغناطيوس ليولا [2] " Ignacio de loyola " (1491-1552م) كانت غايتها التبشير بالمسيحية و تأييد الكنيسة الكاثوليكية، و قد كثر أعضاء الجمعية بعد أن إعترف بها البابا سنة 1540م نظمت تنظيما عسكريا صارما، و اقتصروا على التعليم ،إعتمد اليسوعيون على التربية للمستوى المدارس الثانوية و الكليات الجامعية لأبناء الطبقات العليا لأنهم يريدون تكوين القادة الذين يسيطرون على المجتمع و التمكن من الإستفادة من نفوذهم، فإن اليسوعيون رغم عنايتهم الخاصة بالتربية الدينية إلا أنهم لم يهملوا سائر العلوم و الفنون[3].

3-الفهارس (INDEX):

تم استخدام الفهرس لمكافحة الهرطقة[4] الممارسات الدينية المشكوك فيها إذ تم حظر و حرق الكتب

صلاح الكاثوليكي أيضا على تحسين السلوك الديني للكهنة و كذلك محاربة الفساد إصلاح السلوكيات الغير الملائمة داخل الكنيسة.[5]

---

[1]عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق ص ص 74-75.

[2]إغناطيوس دي ليولا القديس(1491_1556): إسباني مؤسس رهبنة اليسوعيين،كان من رجال البلاط الملكي،خاض غمار حرب جرح فيها،وعلى أثر ذلك اضطر إلى الخلوة و الإعتكاف وفي خلوته اشتغل برياضة النفس وطلب الهدوء الروحي،أسس 1543م مع صحب له رهبته التي أقر البابا لائحتها1539، و أشرف على جمعية اليسوعيين حتى وفاته كان من أنشط دعاة الإصلاح الكاثوليكي.أنظر: مولا علي ،المرجع السابق، ص 332 .

[3]محمد مخزوم، المرجع السابق ص 154.

[4]الهرطقة:حسب التعريف الكاثوليكي للهرطقة هو رأي ديني مدان كنسيا على أنه متناقض للإيمان الكاثوليكي،أو أيضا كخطأ إرادي و متشبث به متعارض مع مبدأ إيماني موحى به و تعلمه الكنيسة بصفته هذه ،ومن وجهة النظر التاريخية لان مفهوم الهرطقة موجود في كنائس أخرى غير كاثوليكية الرومانية،هكذا يعتبر الروم الأرثوذكس"اللاتينيين" هراطقة لأنهم تبنوا المبادئ الإيمانية التي لم تكن قد تحدثت عنها المجامع المسكونية السبعة الأولى(كمبدأ وجود المطهر).

أنظر:ج.ويلتر،الهرطقة في المسيحية – تاريخ البدع الدينية المسيحية- تر:جمال سالم، د.ط، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 2007، ص17.

[5]عبد المجيد نعنعي ،المرجع السابق ص79.

4-محاكم التفتيش: [1]

ظهرت سنة 1542م على يد البابا بول الثالث " paul III " استخدمتها الكنيسة الكاثوليكية كوسيلة لمعاقبة من يعتبرون هراطقة أو مخالفين لتعاليمها و ذلك لتحقيق الإنضباط و الإلتزام بتعاليم الكنيسة و قد مارست هذه المحاكم أقصى أنواع التعذيب و التنكيل لتأديب المذنبين و تحذير الآخرين من ارتكاب مخالفات دينية مماثلة [2].

ثـــانيـــا-الحروب الدينية في فرنسا (1558-1598م):

1-الخلفية التاريخية:

لقد انتهج ملك فرنسا فرانسوا الأول [3] " François Ier" سياسة قمعية ضد الهوجونت [4]، ففي عام 1545م تم تنفيذ الإعدام على حوالي ثلاثة آلاف فرنسي إعتنقوا البروتستانتية (الكالفنية) و أرسل

الباقون للعمل القسري و كذلك بيع أطفالهم للأتراك، و بعد وفاته إستمر إبنه هنري الثاني[1] في اتخاذ إجراءات صارمة ضدهم، علاوة عن ذلك وقع معاهدة "كاتو- كامبريزي" مع

---

[1]محاكم التفتيش:بدأت محاكم التفتيش الوساطة سنة 1223م حينما كلف البابا بعض الرهبان الدومنكيين بالتحقيق في ممارسة الألبيجنسية سرا شعائرها الدينية في جنوب فرنسا،وفي مراحل تطور هذه المحاكم في فرنسا،شمال إيطاليا و ألمانيا والولايات البابوية(حيث استمرت تعمل حتى القرن 19م)،أخذت تلجأ إلى أساليب التعذيب في التحقيقات التي تقوم بها.أنظر:مولا علي، المرجع السابق ص3033.

[2]عمر عبد العزيز عمر ،المرجع السابق، ص201

[3] فرانسوا الأول (1494_1547): ملك فرنسا وصهر لويس 12حكم (1515-1547)شارك في الحروب الإيطالية وانتصر في معركة مارينيانو 1515مولكنه خسر في الإنتخابات الإمبراطورية1519 م لصالح شارل الخامس منافسه مدى عمره هاجمه كذلك سنة 1521م وأسرفي بيافيا سنة 1525م حصل على حريته بتوقيعه معاهدة مدريد 1526م،و تنازل فيها عن مطالبه الإقليمية كون حلف "كونياك "مع (البابا كلمانت السابع،هنري الثامن، فلورنسا، و البندقية).انظر:محمد شفيق غربال المرجع السابق ص1294.

[4]الهوجونت: اطلق هذا الإسم خلال القرن 16م على البروتستانت في فرنسا، ويرجع المؤرخين أصل هذا الإسم إلى تجمعات البروتستانت في "تور"Tours";،وكانت تعقد في اليلفي قلعة يقال أنه كانت تسكنها روح الملك "هوجو"، يبدو كلمة الهوجونت قد اشتقت ببساطة من كلمة Eidgenossen الألمانية (أي جماعة ترتبط فيما بينها بقسم معين) و كانت تطلق فيما بين(1520-1524)على الوطنيين المعاديين لدوق سافواي في جنيف أنظر:زينب عصمت راشد،المرجع السابق ص26.

فيليب الثاني[2] ملك اسبانيا عام 1559م ،سعى جاهدا للتخلص من المهرطقين البروتستانت، تعاقب على العرش الفرنسي بعد وفاة هنري الثاني ثلاثة ملوك ضعفاء مما مكن والدتهم "كاترين دي ميدتشي" أن تدبر زمام الأمور في فرنسا طيلة حكم أبناءها[3]، رغم قوة شخصيتها إلا أنها واجهت الإنقسامات الطائفية التي تهدد مركز أولادها و ذلك بسبب نزاع بين الأسر الحاكمة على السلطة، فقد تزعمت أسرة جيز المؤازرة للكاثوليك في إحدى مقاطعات فرنسا، في حين كان للهوجونت أتباع كالفن يلقون التأييد من بعض أفراد أسرة البوربون[4].

2-مسار الحرب :

- **المرحلة الأولى(1562_1572):**

بدأت الحروب بشكل جدي خلال عهد الملك شارل التاسع[5] " Charles IX "عند مهاجمة فرانسوا دي جيز " François de Guise " زعيم الكاثوليك و جنوده على جماعة من الكالفينين يؤدون طقوسهم الدينية في مدينة فاسي " Vassy" سنة 1562م بحجة أنهم خالفوا "مرسوم التسامح"، و قد أسفر عن ذلك قيام أكبر مذبحة في حق الهوجونت و إشعال فتيل حرب أهلية طويلة الأمد، و لم يبق الكالفينيون الأيدي بل قاموا بعمليات القتل و التخريب للكنائس الكاثوليكية، و كل من الفريقان المتنازعان الكاثوليك و البروتستانت ،استعانوا بالقوة الأجنبية فالبروتستانت تنازلوا عن ميناء "الهافر" لصالح انجلترا حتى تمدهم بالمساعدة والكاثوليك تحالفوا مع الإسبان و البابوية و أمراء المقاطعات السويسرية التي لم

---

[1]هنري الثاني(1519- 1559): ابن فرانسوا الأول(1547_1559)، سيطرت عليه آندي مونتمرونس، شارل دي جيز واصل كفاح أبيه ضد شارل الخامس، استرجع كاليه من إنجلترا سنة 1558م، توفي خلال مباراة رياضة مبارزة .أنظر: محمد شفيق غربال،المرجع السابق،ص 1908

[2] فيليب الثاني(1527_1598):أصبح ملك لإسبانيا وصقلية عقب نزول أبيه شارل الخامس(1556)عن العرش، كان أبوه قد عينه قبل ارتقاءه العرش حاكما على الأراضي المنخفضة،واصل حرب أبيه ضد فرنسا وجعلت معاهدة كاتو_كامبريزي إسبانيا أقوى دولة إستعمارية في العالم، بلغت محاكم التفتيش ذروة نفوذها وسيطرتها خلال فترة حكمه.أنظر: مولا علي، المرجع السابق ص 2510 .

[3]محمد محمد صالح، تاريخ أوروبا من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية(1500_1789)، دار ابن الأثير، الموصل،1941 م ص291 .

[4]شوقي الجمل، المرجع السابق ص 59.

[5]شارل التاسع(1550_1574): حكم من (1560_1574) تحت وصاية أمه كاترين دي ميدتشي ثم اختار كوليني كبار مسيريه، اشترك في مذبحة سان بارثلميو1573م.أنظر:محمد شفيق غربال، المرجع السابق ص 1064.

تتأثر بالإصلاح البروتستانتي [1]،أما بالنسبة للوثريين الألمان كانوا في نزاع مع الهوجونت و البعض منهم أيد الكاثوليك في الحروب الدينية في فرنسا[2].

و في تلك المعارك أصيب كل من الطرفين بخسائر جسيمة حيث فقد الكاثوليك قائدهم فرونسوا دي جـيز، و البروتستانت أصبحوا تحت زعامة هنري بعد مصرع والده أنطوان بوربون " Antoine Bourbon" و لتهدئة الأمور أصدرت كاترين دي ميدتشي مرسوم 1563م لمنح بعض التسهيلات الدينية للبروتستانت[3]،لقد منحت سياسة التسامح هذه لفرنسا سنوات من الإستراحة استمرت حتى 1568م ، والجدير بالذكر أن ماري ميدتشي أجرت العديد من اللقاءات مع السلطة الحاكمة في إسبانيا المضطهدة للبروتستانت في مختلف الأرجاء، وفي سنة 1568م نظمت لقاء مع زوجة الملك الإسباني فيليب الثاني لمناقشة المسائل المتعلقة بالمصاهرة بين الأسرتين مما أثار شكوك قادة الهوجونت فأرادوا تدبير مكيدة لإختطاف شارل التاسع إلا أن ذلك لم ينجح بسبب كشف المؤامرة قبل تنفيذها،استأنف الصراع على فترات متعاقبة انتهى بمرسوم "سان جيرمان" سنة1570م الذي يقضي بمنح الهوجونت أربع مدن حصينة مثل: لاروشيل و كذلك حرية العبادة في المدن التي يسيطرون عليها[4] ،بعد هذا الصلح استمرت التوترات السياسية بين الفصائل المتناحرة في فرنسا، حيث كانت كاترين دي ميتشي "Catherine de Michie" تسعى إلى الحفاظ على السلطة المركزية و حسب اعتقادها أن "كولـيني"

القائد البروتستانتي يمثل تهديدا لعرش إبنها و الكاثوليك، ما دفع بها إلى تدبير مكيدة للتخلص منه و كانت الخطة تتمحور حول تنظيم حفل زفاف مارغـوريت دي فـالـوا " de Marguerite Valois" و هـنري نافار " Henri Navarre " في باريس، و من المعلوم سيكون من المدعوين و بالتالي إغتنام الفرصة لإغتياله لكن ذلك لم ينجح، فقامت مذبحة بارثلميو 1572م في باريس و يقدر أعداد ضحاياها الآلاف من الهوجونت[5].

[1]حسن صبحي، المرجع السابق ص 112.

[2]جلال يحي، أوروبا في العصور الحديثة، المرجع السابق ص 470.

[3]عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق ص 88.

[4]عبد الحميد البطريق، المرجع السابق ص ص 120-121.

[5]حسن صبحي، المرجع السابق ص115.

- **المرحـــلة الثانية (1574م_1589م):**

بعد وفاة الملك شارل التاسع عام 1574م،تولى أخاه هنري الثالث العرش الفرنسي بعده، و لقد تفاقم الصراع في عهده رغم المحاولات المتكررة للتوصل إلى اتفاقيات السلام في الحروب السابقة " مرسوم جويلية 1573 م"، تحدى الهوجونت القوات الملكية و زعزعوا الوحدة الفرنسية من عاصمتهم لاروشيل " La Rochelle"يؤيدهم في ذلك "السياسيون."[1] و في المقابل شكلت الفصائل الكاثوليكية "العصبة الكاثوليكية" تحت قيادة هنري دي جيز "Henri de Guise " و باعتناء من ملك اسبانيا و البابا لتعزيز العقيدة الكاثوليكية في فرنسا و هكذا تطورت الأمور إلى مد و جزر بين الأطراف المتنازعة إلى أن إنتهت بإبرام معاهدة " فيرفيليه"، و بحلول سنة 1584م تأزمت الأوضاع مجددا بسبب تعطش المتنافسين للسلطة ، بعد وفاة الشقيق الأصغر للملك فلم يكن له ابنا يخلفه ،الأمر الذي جعل هنري نافار هو الوارث للعرش و هو بروتستانتي ، و فكر هنري دي جيز أن يبعد الملك عن كرسي الحكم ويستولي على السلطة، مستندا إلى الفرنسيين المعارضين للملك البروتستانتي ، و قد ثارت مدينة باريس شديدة التعصب لكاثوليكيتها و طردت هنري الثالث معتبرة إياه متسامحا أكثر من اللازم مع الهوجونت[2] ، و منذ ذلك الحين أدخلت الأحداث المتشابكة الفرنسيين في متاهات مظلمة إذ شهدت فرنسا حرب الهنريين الثلاثة ، دخول هنري الثالث (الكاثوليكي) مع خلفه المستقبلي هنري دونافار (البروتستانتي) ضد هنري دي جيز (الكاثوليكي)، كان السبب الرئيسي لهذا التحالف هو المصالح السياسية المشتركة لمواجهة الكاثوليك المتطرفين، و قد تمكن هنري الثالث من إغتيال هنري دي جيز و شقيقه اللورين " Lorraine " في أواخر 1588م، و بعدها أول خطوة اتخذها هنري الثالث و هنري دو نافار هو حصار باريس،لكن المفاجأة أن أحد

[1]السياسيون:حزب جديد ظهر في فرنسا بعد مجزرة بارثلميو1572م يضم الكاثوليك المعتدلين،كان هدفهم تجاوز الخلافات الطائفية ووضع مصلحة فوق كل اعتبار لإعادة السلام في البلاد.أنظر:محمد مظفر الأدهمي،المرجع السابق ص64.

[2]هربرت فيشر،أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية،تر:د.زينب عصمت راشد،أحمد عبد الرحيم مصطفى، مر: أحمد عزت عبد الكريم، ط3 ،دار المعارف، مصر، د.س، ص 193 .

الرهبان الكاثوليك إغتال هنري الثالث، و هكذا صار هنري دو نافار الذي نجا قبل 17 سنة خلال مذبحة برثلميو الملك المرشح للعرش[1].

- **المرحـــلة الثالثة (1589م_1598م):**

بما أن هنري الرابع من الهوجونت، فقد رفضت باريس الخضوع له و نظم الحلف المقدس الكاثوليكي معارضة مسلحة ضده في كل أرجاء فرنسا، و أصبح هنري الرابع المؤهل لإستلام مقاليد الحكم، و لقد تجدد الصراع بين البروتستانت و الكاثوليك الذين يدعمهم ملك اسبانيا، قرر أخيرا أن ينكر إيمانه البروتستانتي و يعتنق الدين الكاثوليكي، و توج ملكا سنة 1594م باعتراف من البابوية، و هكذا انتهت الحروب الدينية الفرنسية بعد أكثر من ثلاثين سنة ذبح فيها الكاثوليك و البروتستانت بعضهم البعض في فترة و أخرى، وفي جوان1598م أصدر هنري الرابع "مرسوم نانت" التاريخي الذي منح البروتستانت حرية العبادة[2].

ثـــالـــثا- الحروب الدينية في الأراضي المنخفضة (1566م-1607م):

لقد أسفر عن الانقسام الديني في أوروبا بروز قوتين تتنازعان من أجل العقيدة إحداهما بروتستانتية كالفينية مقرها جنيف و الأخرى كاثوليكية مقرها روما وأدى هذا الصراع إلى دخول العديد من الدول الأوروبية في حروب دينية خلال القرنين 16م و 17 م،و كانت الأراضي المنخفضة[3] من المناطق التي انفجرت فيها الثورات كانت تتألف من سبعة عشر مقاطعة تابعة للتاج الإسباني الذي يتزعمه فيليب الثاني بعدما ورثه عن أبيه شارل الخامس ، وقد سعى حكام هابسبرغ إلى توحيد مقاطعات الشمال "هولندا" مع مقاطعات الجنوب "بلجيكا" و لكن ذلك بات مستحيلا بسبب الاختلافات الدينية السياسية العرقية، فالشمال يدين

[1]عبد الحميد البطريق، المرجع السابق ص 133،134.

[2]محمد مخزوم، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي،المرجع السابق ص ص 147-148.

[3]الأراضي المنخفضة: إقليم شمال غرب أوروبا و يشمل هولندا، بلجيكا، لوكسمبورغ وهذا الإسم اصطلح سياسي و تاريخي أكثر من جغرافي، كانت تحت حكم البيت المالك النمساوي (1482_1794) بعد انفصال المقاطعات المتحدة سنة1581م و يشمل بلجيكا الحالية،فإن حكم الأراضي المنخفضة(هولندا،بلجيكا) انتقل من بيت برجنديا المالك إلى آل هابسبرغ عن طريق زواج ماري أميرة برجنديا بالأرشيدوق ماكسميليان. أنظر:محمد شفيق غربال ،المرجع السابق ص109.

بالبروتستانتية بينما الجنوب يدين بالكاثوليكية ، فعندما آل العرش إلى فيليب الثاني بادرته فكرة تشكيل كيان واحد للأراضي المنخفضة مما أدى إلى سخط أهالي هذه المنطقة و قيام ثورة مناوئة للحكم الاسباني[1] .

1- الثـــورة و الحـــرب:

لقد اندلعت هذه الثورة لعدة أسباب :

- انتهاج الملك فيليب سياسة تعسفية ضد البروتستانت من بين تلك الوسائل محاكم التفتيش لتكريس النفوذ الكاثوليكي[2].
- تعيين فيليب أخته مارغريت دوقة بارما لإدارة شؤون البلاد التي استندت على مساعدين اسبان ، و قد أدى هذا إلى تخييب آمال أهالي الأراضي المنخفضة لأن فيليب لم ينصب أحدا من أتباعهم أمثال إجمونت و ويليام أورانج.[3]
- السياسة الضريبية المجحفة التي أرهقت جيوب السكان في هذه البلاد والغرض من ذلك تزويد فيليب الثاني بنفقات التسليح لخوض الحروب ضد أعداءه .
- لقد تزعم هذه الثورة ويليام أورانج[4] الذي سعى لإفشال مخططات فيليب الثاني لمساعدة الكونت إجمونت و الأميرال هورن الكاثوليكيان و قد بذلوا عدة جهود لإقناع الملك الإسباني أن يتخلى على سياسته الاضطهادية ضد البروتستانت إلا أن ذلك لم ينجح.[5]

2 – مراحـــــــل الثـــورة :

---

[1]ميلاد المقرحي، المرجع السابق،ص ص116-117.

[2]جلال يحي، أوروبا في العصور الحديثة،المرجع السابق ص 479.

[3]عمر عبد العزيز عمر،المرجع السابق ص 233.

[4]ويليام أورانج(1633_1684):الزعيم الأكبر للهولنديين في نضالهم من أجل الإستقلال، ولد في ألمانيا،وانحدر من أسرة ناسا والمالكة عمل في البلاط الإسباني الذي عينه حاكم هولندا 1555م،ولكن حفزته اعتداءات ملكه فيليب الثاني على حريات الهولنديين،وإدخال محاكم التفتيش في هولندا إلى الإنقلاب على فيليب و تأييده سرا حزب "جيه"الذي ألفه سنة 1566الأشراف و كبار الهولنديين والفلمنكيين لرفع المظالم الإسبانية، اعتنق المذهب الكالفيني سنة 1573م ودا الحاكم غير المتوج للأقاليم المتحدة الهولندية بعد إعلانها الخروج عن طاعة فيليب الثاني (1581).أنظر:محمد شفيق غربال،المرجع السابق ص1967.

[5]عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق ص ص 111-112

- **المرحـــلة الأولى (1566م-1572م):**

انطلقت الثورة عند إمضاء بعض النبلاء على رسالة 1566م للتعبير عن اعتراضهم لمحاكم التفتيش و قد قدمت هذه المناشدات إلى ماغريت نائبة الملك الإسباني إلا أنها لم تأخذها بعين الإعتبار و هكذا تحولت المعارضة من مقاومة سلمية إلى حركة عنف و قد قام الثوار بتدمير الصور و التماثيل الموجودة في الكنائس الكاثوليكية مما أغضب الأهالي الكاثوليك عندما شاهدوا ما حل بكنائسهم من تخريب و بهذا حدث الإنشقاق المسيحي و قد استغل فيليب الثاني الوضع و أرسل للمتمردين قواته بقيادة الدوق ألفا بقمع الثوار، و أسس محكمة الإستئناف الخاصة المعروفة بـ:"مجلس الدم" و التي أصدرت أحكاما بالإعدام على العديد من قادة الثورة من بينهم إجمونت و هورن سنة 1568م و استطاع تجزيء البلاد إلى جنوب مؤيد للكاثوليك و أصبحت مدينة أنتورب عاصمة لهم، أما الشمال فكان يساند البروتستانت و اتخذوا "**امستردام** " عاصمة لهم و هكذا قد أفلح ألفا في تحقيق التقسيم العرقي و الديني بين الشمال و الجنوب ، و قد أسفر عن ذلك ظهور دولتين جديدتين بلجيكا و هولندا [1].

- **المرحـــلة الثانية (1572م-1609م):**

لقد سئم أهالي البلاد المنخفضة من الضرائب المفروضة عليهم مما دفعهم إلى الإتحاد فيما بينهم ضد الإحتلال الإسباني و اختاروا اسما لأنفسهم بـ : " غزاة البحر" و لقد تلقوا الدعم من انجلترا وفرنسا، وفي أفريل 1572م استولى الثوار على بريل بقيادة ويليام أورانج [2] " Guillaume III D'orange Nassau " ، و لقد انضمت مقاطعات أخرى إلى الثورة مثل هولندا
و زيلاند، فتوجه أورانج إلى تلك المناطق و جعل مدينة بريدا " Brida " عاصمة له ، كما انضمت بعض
المدن الأخرى .

و في نوفمبر 1576م نجح أورانج في تكوين اتحاد تحت اسم " سلام غنيت" تكاتفت فيه مقاطعات الشمال مع الجنوب لمواجهة العدو المشترك، لكن ذلك لم يدم طويلا فحدث

[1]صالح أحمد هريدي، المرجع السابق ص 213.

[2]جلال يحي، المرجع السابق، أوروبا في العصور الحديثة ص 418.

انفصال بسبب التباين العقائدي، و قام أورانج بتأسيس "اتحاد أوتريخت" بين البروتستانت في الشمال[1]، لقد قررت حكومة إسبانيا إزاحة غريمها العنيد القوي عن طري إغتياله، و أباح فيليب الثاني قتله، و هكذا تلقى أورانج مصرعه على يد أحد الكاثوليك المتعصبين إلا أن ذلك لم يزعزع التكتل البروتستانتي لأن قبل ثلاث سنوات (جويلية 1573م) قد اتفق ناخبي بارابانت، الفلاندر، أوتريخت في لاهاي على رفض ولاءهم للسلطة الملكية الإسبانية [2].

عند انهزام إسبانيا في معركة **الأرمادا** 1588م أمام إنجلترا تراجعت قوتها البحرية و كذلك تراكمت عليها الديون بسبب النفقات العسكرية،و هكذا إتحدت إنجلترا و فرنسا و هولندا ضد إسبانيا الفاقدة الأمل في الإنتصار. و في عام 1597م فازت فيها القوات الهولندية البروتستانتية بقيادة مويتس من ناساو " Moëts de Nassau " في معركة تورنهوت " Turnhout"، لقد واصلت إسبانيا النزال إلى أن إستنفذت طاقتها بسبب تحطم أسطولها البحري خلال صراعها مع الهولنديين عم 1609م، وعلى إثر ذلك إضطرت إسبانيا إلى عقد هدنة في أنتويرب " Anvers " لمدة إثني عشر عام[3].

من خلال ما سبق يمكننا القول أن الإصلاح الديني رغم أنه كان ضروري لإصلاح ممارسات الكنيسة إلا أنه كسر الوحدة الدينية،فالصراع الديني لم يكن مجرّد مسألة عقائدية بل أصبح سلاحا في يد الحكّام لتوسيع نفوذهم أو تأكيد إستقلالهم، و لهذا يمكن إعتبار الإصلاح الديني كان الشرارة التي أشعلت التوترات الدينية ممّا أدى إلى صراعات واسعة النطاق أبرزها حرب الثلاثين عام.

[1]عبد الفتاح حسن أبو علية، المرجع السابق ص 113.

[2]جلال يحي، أوروبا في العصور الحديثة، المرجع السابق ص482.

[3]عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق ص 239.

إستمرارا لمسار طويل بدأ مع مرحلة الإصلاح الديني، تحولت البروستانتية إلى أمر واقع سياسي و أصبحت المذهب الرسمي للدولة في مناطق واسعة من النمسا و ألمانيا و حتى فرنسا في مرحلة أخيرة قبل عودتها إلى الكاثوليكية و تجدر الإشارة إلى أن تأزم الوضع بين المذهبين كان سببا رسميا لتوجه أوروبا نحو التورط في الحروب الدينية من أبرزها حرب الثلاثين سنة (1618-1648 م) .**(انظر الملحق رقم 2)**

المبحث الأول : أسباب حرب الثلاثين سنة

أولا : الأسباب الدينية السياسية:

1- تسوية صلح أوغسبرغ الفاشلة 1555م:

من الواضح أن الإصلاح الديني في ألمانيا قد أسفر عنه الانشقاق إلى كتلتين متناحرتين بسبب التباين العقائدي فالأولى الكاثوليكية والثانية البروتستانتية و قد أنحسم الصراع المحتدم بعقد "صلح أوغسبرغ " [1] سنة 1555م .[2]

" صلح أوغسبرغ " يعد السبب الرئيسي في نشوب حرب الثلاثين عام سنة 1555م وذلك لإخفاقه في تحقيق التسوية العادلة بين الطائفتين المسيحيتين " الكاثوليكية والبروتستانتية" فحسب ما اعتبره الطرفان أنه مجرد مسألة مؤقتة للاستراحة، ولم يكن للإمبراطور صلاحية تعميم الكاثوليكية على الألمان إذ أصبح الأمراء لهم الحق في تقرير المصير الديني لأقاليمهم .[3]

---

[1]أوغسبرغ: عاصمة إقليم سوابيا غرب بافاريا، مركز منسوجات جنوب ألمانيا بها صناعات أخرى، مستعمرة رومانية أسسها أوغستس 15ق.م حرة سنة 1276 م من أهم مراكز عمليات البنوك و التجارة في أوروبا القرنين 15و 16 م. مركز للعلوم و الفنون الدينية في ألمانيا بها صناعات أخرى، مستعمرة رومانية أسسها أوغستس 15ق.م، حرة سنة 1276م، تم عقد فيها عدة معاهدات أثناء الإصلاح الديني أنظر: محمد شفيق غربال، الموسوعة العربية العلمية الميسرة، دار الشعب و مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر،1962م، ص 20

[2]حسن صبحي، موسوعة التاريخ الأوروبي الحديث، ج1، مؤسسة شهاب الجامعة للطباعة والنشر بجامعة الإسكندرية 1975م، ص 141.

[3]محمد علي، محمد عثمان، "الحروب الدينية في أوروبا على مشارف العصر الحديث"، **مجلة التفاهم**، ع : 42 2013 م، ص 101 .

لقد نص " صلح أوغسبرغ " 1555م بمبدئها " cius regio cius relegio" على أنه صاحب العرش هو صاحب الدين أي كل أمير يحدد ديانة الأقاليم و الرعايا يدينون بالمذهب الذي اختاره لهم الحاكم، وفي بعض الأقاليم رئيس الأسقفية [1] هو بمثابة الحاكم.

كما أن هناك منافسة بين البروتستانت و الكاثوليك عند اشتغال المنصب، ففي عام 1593 م اندلعت حرب صغيرة على مدينة "آخن" [2] " Aix-la-Chapelle " و كذلك حرب أخرى سنة 1600م للمدينة للهيمنة على كولونيا[3] "Cologne" بعد مرور عقد من "صلح أوغسبرغ" أضحى اللوثريون أسياد الأقاليم الكنسية، لأنهم روجوا للعلمانية، هذا ما أغضب الكاثوليك إذ عد هؤلاء أنه الإستنزاف المستمر الذي انتهك "التحفظ الكنسي" لسلام أوغسبرغ أما الكالفينيون لم يكن لهم أي حقوق بموجب هذا الصلح، إلا أن عددا من الولايات أصبحت كالفينية واحدة من هذه كانت "بالاتينات" [4]، التي كانت مهمة لأنها تقع في موقع استراتيجي عبر نهر الراين الأوسط ولأن حاكمها ناخب بلاتينات كان أحد الأشخاص السبعة الذين انتخبوا الإمبراطور الروماني المقدس، كان هذا السلام بمثابة قانون إمبراطوري يطبقه عامة الناس ومعاهدة تم عقدها بين الأمراء الكاثوليك و البروتستانت و في ذلك الحين لم تتطابق أحكامه مع السلام الحقيقي في إطار الشرعية حيث تم تهميش الطائفة الكالفينية، إذ لم يهتم الإعتراف بهم

[1] الأسقفية: هي رتبة عليا من درجة الاسقفية والتي يتزكى بها الراهب الكاهن (قس) ليصبح اسقف عام على ابرشية اول رئيس الدير او اسقف مساعد انظر: مؤلف مجهول ، قاموس المصطلحات الكنسية ، موقع الأنباء تكلة هيانوت ، الاسكندرية ،مصر www.st.zablla.org.com يوم 06/25/ 2024م على الساعة 59: 14عبر الموقع .

[2] آخن: هي مدينة تقع في غرب ولاية شمال الراين وستفاليا في غرب ألمانيا تبعد 60 كلم الى الجنوب الغربي من مدينة كولونيا .انظر : فؤاد آل عواد، مدينة أخن الألمانية : حاضرة أوروبية مسكونة بروح القياصرة يوم 2024/06/25 م على الساعة 09: 15عبر الموقع:www.dw.com

[3] كولونيا: مدينة ألمانية على الراين شهرتها تعود الى روعة كاتدرائيتها القرطبية التي بدأت أعمال انتشائها في 1848-1880، انظر مسعود الخوند ، الموسوعة التاريخية الجغرافية ،ج:3، د.ط،دار رواد النهضة ،لبنان، ب.س. ن ،ص 111

[4] R.R Palmer : A history of modern world , alfred a tnof , New York, 1961 p 135.

كطوائف دينية على عكس طوائف روما و منح الحرية الدينية لهم، و غني عن القول أن مبدأ الحرية الدينية لم تمتد لتشمل الأفراد بل مقتصر على الحكام فقط [1].

إن التحفظ الكنسي بمثابة البند الذي أشعل لهيب الصراع يكمن ذلك في مطالبة الكاثوليك بإلغاء جميع العلمانيات المتعارف عليها قبل 1552 م و ينبغي إعادة كل الأراضي إلى الكنيسة الكاثوليكية[2] ، رفض البروتستانت الإعتراف بهذا الحكم واستمر الحكام البروتستانت في الإستيلاء على أراضي الكنيسة عندما أتيحت الفرصة وكان هناك عدد من الحالات التي تحولت فيها كل من رؤساء الدير و الأسقفيات إلى البروتستانتية وحولوا مقتنيات الكنيسة إلى عقاراتهم. كان الإحياء الكاثوليكي قد اكتسب القوة الكبيرة بفضل أنشطة اليسوعيين و مع ذلك كانت البروتستانتية لا تزال نشطة و يسعى أتباعها لكسب المتحولين الجدد، كانت القضية بسيطة: هل يجب أن تحقق البروتستانتية المزيد من المكاسب ؟[3]

2-التوترات الدينية بين الكاثوليك و البروتستانت:

" صلح أوغسبرغ " لم يكن حلا نهائيا للتوترات القائمة بين البروتستانت و الكاثوليك التي كانت تعصف بالإمبراطورية، فالطائفة البروتستانتية استغلت الوضع لتثبيت مواقعها في شمال ألمانيا.

كما سعت لنشر وتعميم معتقداتها الدينية في المناطق الجنوبية مثل: النمسا، فالإنقسامات الداخلية بين اللوثريين و الكالفنيين تعود إلى التباين في تحديد مبادئ البروتستانتية وشعائرها[4] أما الكاثوليك فلم يكن من المتوقع أن يظلوا صامتين إزاء هذا الإنتشار

[1] Georges Pages, The thirty years war (1618_1648), A Torchbook, library edition, New york p 36.

[2] Georges Pages, ibid, p38

[3] Carlton-H, Marshall.B,Chares.c , History of Europe,the Macmillan company, New york, p535.

[4] عبد المجيد نعنعي، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة (1453-1848م) ب.ط ، دار النهضة العربية للطباعة و النشر : بيروت،1983م، ص 102

البروتستانتي في معاقلهم السابقة ،عملوا على ترسيخ وجودهم في شمال وجنوب ألمانيا وعبر الحدود خلال فترة حكم الإمبراطور"رودلف الثاني" [1]"Rodolphe II" (1578-1612م) " إستند الكاثوليك في عملهم إلى روح التجديد للكنيسة من خلال "مجمع ترنت" (1545-1563م) تم تنفيذ العديد من الإصلاحات و تحسين في الهياكل الكنسية كذلك تأكيد عقائدهم الدينية بالأسرار، الإعتراف و الزواج الغرض من ذلك مواجهة البروتستانت ،كما أدى اليسوعيون دورا محوريا في إحياء الروحانية الكاثوليكية من أنشطتهم : التعليم حيث أسسوا المدارس والجامعات وكذلك الإرساليات التبشيرية التي شملت مختلف أقطار العالم بما في ذلك آسيا الأمريكيتين وإفريقيا و عكفوا على نشر عقيدتهم و تعليمهم بمبادئ الإيمان المسيحي، و اتخذ الجزويت من نشاطهم في كل من فيينا و ميونيخ،و بهذا النشاط الجديد أتيح لهم أن يعيدوا العديد من المقاطعات الألمانية إلى الحظيرة الكاثوليكية بعد نفيهم للطوائف البروتستانتية، و مما لاشك فيه أن تلقى هؤلاء تأييدا و دعما ماليا من الإمبراطورية الرومانية المقدسة، مما أتاح لهم تحقيق مبتغاهم ألا و هو محاربة التحديات الدينية و الإيديولوجية التي تواجه الكنيسة.[2]

إن نجاح الكاثوليك في إكباح الحركة البروتستانتية في ألمانيا لإعادة بعض المعتنقين إلى الإرتباط بكنيسة روما، قد دفع بأتباع لوثر و كالفن " Calvin " و زوينجلي إلى تكوين حلفا مهما بينهم،أطلق عليه بـ:"الإتحاد البروتستانتي" تحت زعامة فريدريك الرابع [3] عام 1608م

[1]رودلف الثاني (1552-1612) : ملك بوهيميا من 1575 م حتى 1611 م، و إمبراطور روماني مقدس, عرفت فترة حكمه الإضطرابات السياسية و توتر علاقاته مع شقيقه ماتياس و في نهاية المطاف تحتم عليه منح خطاب الجلالة عام 1609م للبروتستانت أنظر:

Tryntje Helfferich, The thirty years war, Hackett, Publishing company, Inc ; 2009 p 21.

[2]عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص 103

[3]فريديريك الرابع (1574-1610م) : حكم (1592-1610) خلفه إبنه فيما بعد في رئاسة الإتحاد البروتستانتي انظر: مولا علي، الموسوعة العربية الميسرة ،ط1، شركة أبناء شريف الأنصاري، بيروت-لبنان،1998م، ص 2404.

[1] يتألف من أمراء "بادن"[2] "Baden" "ناخبي "البلاتينات" "Palatinate"[3] و الغرض منه الدفاع المشترك عن مكاسبهم السياسية تم تقبله من معظم المشاركين رغم اختلاف وجهات النظر فيما بينهم.[4]

و أبرم هذا الإتحاد حلفا مع ملك فرنسا و الأمم المتحدة، فسارع الكاثوليك في السنة الموالية 1609م إلى تأسيس "العصبة المقدسة " على يد " مكسيمليان دوق بافاريا " "Maximilien, duc de Bavière" الكاثوليكي المتعصب وعلى الأرجح تكون هذه العصبة من الأمراء و الأساقفة، تطلع زعماء الرابطة الكاثوليكية صوب إسبانيا من أجل الدعم المادي و الإعانة، رغم ذلك فإن البروتستانت ظلوا مشتتين و مع محاولات ملك فرنسا هنري الرابع في حل النزاعات بين اللوثريين الا انه لم يتمكن من إنشاء حزب موحد لهم.[5]

3- التمرد البوهيمي 1618م :

ما حدث في "بوهيميا" 1618م (التشيك حاليا) يمكن ربطه برسالة الجلالة الممنوحة في الأصل من قبل الإمبراطور رودلف الثاني " Rodolphe II" و أكدها الإمبراطور ماتياس" "l'empereur Mathiass" وتضمنت سلسلة من التنازلات للبروتستانت البوهيميين، الذين أصبحوا الأغلبية في البلاد فحسب الإعتذار المصرح من طرف الطائفة البروتستانتية بعد

---

[1] أحد صالح عبوش ، تاريخ أوروبا في عصر النهضة، دار الفكر، ط 1،د.م، 2020 م ص 229.

[2] بادن: ولاية ألمانية سابقة تقع جنوب غربي ألمانيا،كانت تمتد على منطقة الراين اليمني من نهر الماين إلى بحيرة كونكيستانس وعاصمتها السابقة كار لسرو أنظر : شفيق غربال، المرجع السابق، ص 300.

[3] البلاتينات : إقليمان ألمانيان يتصلان معا من الوجهة التاريخية لا الجغرافية_و هما_ البلاتينات السفلى تمتد غربا من الراين إلى فرنسا و إقليم المار و عاصمتها نيشتاد ، اما البلاتينات العليا تتبع بافاريا و تفصلها شرقا الغابة البوهيمية من تشيكوسلوفاكيا عاصمتها رغانسورغ . أنظر : شفيق غربال ،المرجع نفسه ص 381.

[4] Samuel Rawson Gardiner,Thirty years war (1618 – 1648), the library of congrés, New York,1889 p21.

[5] جفري براون، تاريخ أوروبا الحديث، تر:علي المرزوقي، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع، د.م.ن،2006 م ص 254.

الرمي من النافذة : "أكد خطاب الجلالة بقوة ووافق على عدم قيام أي طرف بالتحرش ضد الآخر بل بالأحرى يمكن و يجب على الكاثوليك و البروتستانت أن يخدموا الإله بحرية و سلام في كل مكان دون انقطاع من قبل أي سلطة كنسية أو زمنية كان هذا ردا على المشاكل التي أثارها المضطربون سواءا من رجال الدين أو العلمانيين ولكن بصفة خاصة من قبل أعضاء الطائفة اليسوعية، مساعيهم كانت تهدف إلى جلالة ملك تنصيب "الإمبراطور" عن طريق الاحتيال و لكن أيضا جميع الأهالي و العقارات البروتستانتية في هذه المملكة بأكملها تحت سيادة الكرسي الروماني أي "البابوية" بعض الكاثوليك المتعصبين أمروا بعدم السماح لهؤلاء الوصول إلى مناصب عليا كأوصياء، بينما كان ماتياس في "فيينا" "Vienne" شرعوا في إزاحة البروتستانت من الإدارة و الوزارة فحسب ما ادعته العقارات البروتستانتية أن الأوصياء المتعصبين أمروا بعدم السماح للرعايا البروتستانت الذين يقطنون في الأراضي التابعة للكنيسة الكاثوليكية بتشييد كنائسهم الخاصة .[1]

وجد ماتياس في ممتلكاته وسيلة للتهرب من الميثاق الملكي لرسالة الجلالة و عين قساوسة كاثوليك على الكنائس البروتستانتية، و سمح بأن تكون الإجراءات لفترة و أجبر البروتستانت على حضور الخدمة الكاثوليكية و بطبيعة الحال كان هذا الملك رجلا مسنا و بالتالي طمع البروتستانت بعد موته أن الملك القادم ينتمي إليهم و كان السؤال الوحيد : هل ستكون لهم الفرصة لإختيار ملكهم في الإنتخابات أو بصريح العبارة هل كان سيتم إختيار ناخب من "بلاتين" أو ناخب من "سكسونيا "[2] "Saksonia" ؟ و فجأة في عام 1617 م تم استدعاء

[1] Logan. Kilsdonk , The thirty years war**, Laurence University** , Honorsi projects, 2018 P21.

[2] سكسونيا : اسم يطلق أصلا على المنطقة التي كان يقطنها السكسون، في العصور القديمة و الوسيطة الأولى، أي سكسونيا السفلى الحالية، تقع شمال غرب ألمانيا أنظر : مولا علي المرجع السابق، ص ص 1863- 1864.

نظام الدايت [1] البوهيمي لإختيار الإمبراطور الجديد و تم إنتخاب " فرديناند الثاني "[2] "Ferdinand II"(انظر الملحق رقم 2) المنتمي إلى أسرة "آل هابسبورغ" القوية و المؤثرة في السياسة الأوروبية آنذاك، لذلك اكتسب دعما كبيرا من قبل النخب الكاثوليكية لتصدي التغلغل البروتستانتي في أرجاء الإمبراطورية.[3]

في عام 1618 تولد الصراع في بوهيميا على إثر السياسة الطائفية المتشددة من طرف الإمبراطور " فرديناد الثاني " ضد البوهيميين حيث عمل على تهميشهم و اضطهادهم و كان هؤلاء يدافعون عن حرياتهم الدينية راضيين التدخلات الهابسبورغية التي تقصيهم من حقوقهم القديمة ، فانتهاك " خطاب الجلالة " الذي أصدره رودلف الثاني سنة "1609م" بمثابة الحادثة التي حفزت على الرمي من النافذة في براغ " Brague" 23 ماي 1618 م (انظر الملحق رقم 4) حيث قامت مجموعة من المتمردين بإلقاء نواب الإمبراطورية و تعد هذه الحادثة بمثابة الشرارة التي أشعلت البارود[4] .

ثانيا –الأسباب السياسية:

1–تفكك و ضعف الإمبراطورية الرومانية المتقدمة:

[1]الدايت: يطلق عليه أيضا الرايخستاغ و هو جمعية المناقشة و التشريع ، كان دايت الإمبراطورية الرومانية المقدسة يعد بغير انتظام و نظمه الإمبراطور شارل الرابع سنة 1393 م ، جعله ثلاث هيئات : المنتخبون, الأمراء, ممثلوا المدن الإمبراطورية وفي عام 1648 أصبح هيئة فيديرالية فوق الإمبراطور و تسمى بها الهيئات البرلمانية لبعض البلدان الأخرى مثل للسويد دايت أيضا أنظر:زينب عصمت راشد للمرجع السابق ص 118.

[2]فرديناند الثاني : خلف إبن عمه ماتياس ملكا لبوهيما سنة 1617 م ,و المجر 1618م و إمبراطور 1619م, ثار نبلاء بوهيميا سنة 1619م لإشتطاطه ضد البروتستانت و انتخبوا فريدريك ملك الشتاء و بذلك بدأت حرب الثلاثين عاما.أنظر: مولا علي المرجع السابق.

[3] Samuel Rowson Gardiner, op. cit p 28.

[4] Claire Gantet, Thirty years war of wastphalie, Editions Eallander, Paris, 2007 p647 p 186

لقد دارت حرب الثلاثين عام في المقام الأول في "الإمبراطورية الرومانية المقدسة " [1] كانت كيانا سياسيا معقدا تتألف من العديد من الولايات و المقاطعات تتمتع بدرجات متفاوتة من الإستقلالية والجدير بالذكر أنها كانت أقرب بكثير من النموذج الإقطاعي القديم، مع سلطة الإمبراطور العديد من الأمراء قللوا من شأن النبلاء و هم بدورهم يقللون من شأن الفلاحين فالإمبراطور هو المهيمن في المقام الأول على الأراضي و تشمل (النمسا،جمهورية التشيك ،أجزاء من المجر،تقع الإمبراطورية في وسط أوروبا مما يجعلها تهديدا محتملا من طرف العديد من الدول المجاورة .علاوة على ذلك تشتت السلطة في الإمبراطورية منعت الإمبراطور من تكوين قوة سياسية تهابها الدول الأخرى .بالإضافة إلى تعقيدها السياسي تم تقسيم الإمبراطورية إلى فصائل دينية خلال حياة " لوثر" " Luther" في أوائل القرن 16 م، فالعديد من الأمراء بما في ذلك ناخبي سكسونيا، براند ، براندبورغ " Brandebourg " بلاتينات قد تحولت إلى اللوثرية و بعد ذلك موجة من التحولات الذي خلق مشاكل جديدة حيث إعتنق أمراء الكالفينية و لم يتم قبوله في القانون الإمبراطوري الذي لم يتح الفرصة للهراطقة الاحتفاظ بالأرض و مع ذلك سمح للطائفة اللوثرية الفوز بالحقوق في سلام أوغسبرغ 1555م[2]

و قد عرفت الإمبراطورية ضعف السلطة المركزية للإمبراطور، بدلا من ذلك كانت للسلطات المحلية تتسع بقدر كبير من الحكم الذاتي، هذا الضعف المركزي صعب على الإمبراطور فرض السلام و توحيد الإمبراطورية ضد التهديدات الخارجية[3].

[1]الإمبراطورية الرومانية المقدسة: الوحدة السياسية التي ظهرت عند تتويج أوتر الأول في روما 692م،و استمرت إلى تنازل فرانسيس الثاني عن اللقب الإمبراطوري سنة 1806م ،و تذهب وجهة النظر الأروبية الغربية أن الإمبراطورية الرومانية التي أسسها أوغسطس لم تنته بل توقفت فقط بتنازل آخر إمبراطور روماني 476م و أن شارلمان قد أحياها سنة 800م ثم أعاد أوتو إحياءها سنة 962م ،و في القرن 16 م ظلت مجموعة من الدول الأوروبية،أمراء الإنجليز و الفرنسيين و الإسبان يسعون إلى الحصول على التاج في الإنتخابات الإمبراطورية أنظر: محمد شفيق غربال ،المرجع السابق ص 219.

[2] Logan. Kilsdonk, op.cit p,p 12, 14.

[3] Georges Pagés, op, cit p 27.

تجدر الإشارة أن الإمبراطورية الرومانية المقدسة تتألف من مجموعة من الإمارات التي تتميز بوجود أمراء ناخبين الذين كان لهم الحق في انتخاب الإمبراطور، هذا الطابع الإنتخابي الإمبراطور يحتوي على نقاط الضعف تتمثل في أن هؤلاء كانوا يشغلون هذه الإنتخابات للحصول على المزيد من الإمتيازات من كل مرشح للتاج ،مما يمكن أن يؤدي إلى تفكك السلطة المركزية للإمبراطورية، و خلق نوعا من التجزئة و التنافس داخل الإمبراطورية و من جهة أخرى تتجلى نقاط الضعف في أثر حركة الإصلاح الديني و النهضة الأوروبية اللذان ساهما في تغيير المفاهيم الحكومية حيث كانت كل ولاية حرياتها محددة و كانت تخضع لسيد إقطاعي غالبا ما يكون أجنبي و على إثر هذه التحولات الكبرى في أوروبا نشأت فكرة الدولة الحديثة التي تتمتع بوحدة إقليمية ذات سيادة مطلقة هذه الفكرة الجديدة ساهمت في تعزيز السلطة المركزية للدول الوطنية ففي إيطاليا مثلا تبنت الدويلات الإيطالية مثل فلورنسا " Florence " ميلانو "Milano "،البندقية "Venise "، هذه الفكرة الجديدة و التي أسهمت في تحقيق استقلالها النسبي عن السيادات إلى تركيز السلطة في أيدي الملوك في البلدان الأوروبية و لكن كان لها تأثير عكسي يمكن تفسيره من عدة جوانب منها الإقطاعية، فالسلطة كانت على يد النبلاء و الدوقيات، إضافة إلى ذلك الدور الفعال لحركة الإصلاح الديني في تقويض الوحدة السياسية للإمبراطورية الرومانية المقدسة[1] .

2-التنافس حول النفوذ بين القوى الأوروبية:

كانت الدول الأوروبية تسعى لتوسيع حدودها و زيادة نفوذها سواء السيطرة على المناطق الإستراتيجية أو المنافذ البحرية، لذلك بعض الطموحات الإقليمية ساهمت في نشوب حرب الثلاثين عام على سبيل المثال كانت فرنسا تسعى لإضعاف قوة " آل هابسبرغ" المتحكمين في الإمبراطورية و إسبانيا و فرض سيطرتها على أوروبا إذ دعمت التحالفات المناهضة "لآل

[1]فوزي جيب الله عامر رحيم، مؤتمر وستفاليا دراسة في لتاريخ الديبلوماسية الدولية، (مذكرة ماجستر: التاريخ) جامعة سبها كلية الآداب، قسم التاريخ، ليبيا،2013- 2014 م، ص 66.

هابسبرغ" و تطمح الهيمنة على الأقاليم المجاورة مثل الألزاس و اللورين "Alsace-Laurraine" ، كما تدخلت أيضا في الحرب الدانمارك تحت قيادة ملكها كريستيان الرابع[1] " Chrétien IV " (انظر الملحق رقم 5) للحد من النفوذ في شمال ألمانيا و تعزيز قوتها الإقليمية فالدانمارك كانت تهيمن بالفعل على بعض الأراضي في شمال ألمانيا، و كانت تطمح لبسط نفوذها في المنطقة.

و كان "غوستاف أدولف" [2] " Gustav Adolphe" (انظر الملحق رقم 6) ملك السويد يتطلع لجعل البلطيق بحيرة سويدية، كما تجدر الإشارة أن الدانمارك و السويد تنافستا بشدة حول المنافذ البحرية نظرا لأهميتها الإستراتيجية[3].

كانت إسبانيا دولة قوى عظمى و قد بذلت قصارى جهدها لتفعيل التوازنات السياسية في أوروبا و لصالحها خاصة مع وجود الصراعات الجيوسياسية بين مختلف القوى، كما سعت لتحقيق التوسع الإقليمي و النفوذ السياسي في ضوء ترسيخ سلطتها على مستعمرات تابعة لها في أوروبا و خارجها)إفريقيا، أمريكا)، و قد شعر فيليب الثالث "Philippe III "ملك إسبانيا بالقلق على الصراعات الجيوسياسية إذ كانت الأراضي الألمانية التي يسيطر عليها "آل هابسبرغ " محل نزاع بين القوى الأوروبية.[4]

---

[1]كريستيان الرابع (1577-1648م): ملك الدانمارك و النرويج (1588-1648) لديه دورا رئيسيا في حرب الثلاثين عام غزا سنة 1625م ألمانيا مدافعا عن البروتستانت و هزمه تيلي في لوتزن 1626م و أنقذ سترالسند بمساعدة السويد 1628م و وقع صلحا منفردا 1629م، و لكنه عاد (1643- 1645م) لمحاربة السويد و خسر مقاطعتين نرويجيتين أنظر مولا علي: المرجع السابق، ص ص 2695- 2696.

[2]غوستاف أدولف : كان ملك على السويد خلال (1611-1632م) من أعظم القادة العسكريين في التاريخ. انتصر على الدانمارك خلال حرب كالمار (1611-1613م) كان قائدا محوريا خلال حرب الثلاثين عام (1618-1648م) حيث حقق انتصارا كبيرا ضد القوات الكاثوليكية في معركة برينغاد 1631 م, ساهم بشكل كبير في تطوير التكتيكات العسكرية .أنظر :
Carlton Aderhold, Petit Larousse de l'histoire du monde en 7000 mots, Paris, 2006, p364.

[3]عبد العزيز سليمان نوار، محمود محمد جمال الدين، التاريخ الأوروبي الحديث من عصر النهضة إلى الحرب العالمية الأولى، دار الفكر العربي، مدينة نصر 1999م. ص 145.

[4] Philippe Houdry, la guerre de trente ans(1618-1648), bilans des recherches généalogiques sur Marie Louise Alphonsie Mille et ses ascendants n 20 dépat légal Bnf, France, 2005 p2.

بروز التنافس الجيوسياسي على بحر البلطيق، إذ يعد ممرا تجاريا هاما و مصدرا للنفوذ الإستراتيجي بين الدول الأوروبية الشمالية و الشرقية و كذلك الإستيلاء على المدن الساحلية مثل "دانزيغ" "Dantzig " و"كالينغراد" "Kaliningrad" الذي يعد جزءا من التنافس حول النفوذ بين القوى الأوروبية مثل :السويد روسيا، الدانمارك[1] .

خلال القرن السادس عشر كان حكام فرنسا سواء من بيت فالوا لفرانسيس الأول, " هنري الأول" "Henri Ier "، " هنري الثاني" " Henri II "، " هنري الثالث" " Henri III "، أورجيت_البوربون ، هنري الرابع " Henri IV "كان في صراع مع " آل هابسبرغ" " النمسا إسبانيا" بحلول العقد الثالث من القرن السابع عشر رأت الحكومة الفرنسية نفسها مهددة من قبل سلطة الهابسبورغ و أن عليها كسب قوة من خلال هزيمة هؤلاء بالإضافة إلى ذلك تخوف فرنسا من توحيد ألمانيا من طرف الإمبراطور و بذلك تصبح دولة قوية بدلا من كونفدرالية فضفاضة حينها ستكون مهددة بشكل متزايد من قبل جار قوي جدا في جميع أنحاء الراين من جانبهم، فالتنافس بين آل هابسبورغ" Les Habsbourg" و آل بوربون Les Bourbon من الرهانات الواضحة للهيمنة على أوروبا.[2]

ثـــــالثا-الأسباب الإقتصادية:

التطور الإقتصادي من الشكل الإقطاعي إلى الشكل الرأسمالي:

إن ظهور الطبقة البورجوازية ذات النفوذ الإقتصادي الكبير والتي تعتمد أساسا على الأنشطة التجارية أدى إلى التغيير في ديناميكيات السلطة هذه الطبقة الجديدة غالبا ما كانت تتصادم مع النظام الإقطاعي ما ينتج عنه بين البرجوازية و النبلاء، كما أن البرجوازية أدت دورا فعالا في إنعاش الإقتصاد و مع تحول الإقتصاد من الزراعة التقليدية إلى الإقتصاد الرأسمالي الحديث، بدأت العلاقات الإجتماعية التي كانت تربط النبلاء بالفلاحين تتلاشى

[1] Carlton, J, Hajes, Mar. W.b, Charles Moolsey cole, History of Europe, the macmillon company, New York, 1949, p 536.

[2] R.r Palmer, opcit, p 122

علاوة على ذلك فقدت هذه الطبقة الأراضي و الخدمة الفلاحية حتى بدأت تتحول إلى وحدات إقتصادية تجارية صناعية تسيرها البرجوازية و لتعزيز سلطتها تبنت الإستثمار العقاري ، حيث استعمل بعض النبلاء ثرواتهم لشراء العقارات أو تأجيرها .[1]

في نظام الإقطاعية الجديدة كان بروز تبعية واضحة بين الطبقات الإجتماعية فالنبلاء يمتلكون الأراضي و يشغلون عليها الفلاحين، و يقدمون خدماتهم و يسددون ضرائبهم مقابل تأمين من جانبهم علاوة على ذلك تم اسخدام "السخرة" و هو بمثابة جزء أساسي من نظام الإقطاعية الحديثة في أوروبا هذه الممارسة تعني أن الفلاحين و المزارعين ملزمين بدفع الضرائب أو رسوم ما ينتجونه من المحاصيل لهذا أصبحت هذه النظامية جزء من التبعية الإقتصادية المفروضة على الفلاحين، و مما لا شك فيه أن النزاع بين طبقة النبلاء و المجتمعات الحضرية كان جزءا من التوترات التي طغت في العصور الوسطى و النبلاء و المجتمعات الحضرية يتنافسون على الأراضي و الموارد الإقتصادية و عند اندلاع الحرب في بوهيميا سنة 1618 م وجد النظام الإقطاعي حسب ما دونته المصادر التاريخية بروز طبقة نبيلة فظة المالكة للأراضي مثل :اللوردات و الكونتات، و الدوقات،الطبقة النبيلة الصغيرة من الفرسان و المدن ،الريفيون الفلاحون يطلق عليهم " الطبقة المهمشة " ، يرجع ذلك تعرضهم للإستغلال من طرف الأمراء، و في نفس الوقت ما يمكن الإنتباه له أن الصراع وقع بين خصمين لهما نفس البنية الإقتصادية هما حزب الإمبراطور وحزب دول "بوهيميا "[2] " ." Bohême

بالتالي يمكن القول بأن حرب الثلاثين عام كانت نتاج لتشابك معقد بين العوامل الدينية والسياسية والاقتصادية واجتمعت كلها لتؤدي إلى انفجار لهيب لهذه الحرب.

[1] نور الدين حاطوم، تاريخ القرن السابع عشر في أوروبا، ط1، دار الفكر، دمشق ص 53.

[2] نور الدين حاطوم، المرجع السابق، ص ص 56- 57.

المبحـــث الثـــــاني : تطـورات االحرب:

أولا-المرحلة البوهيمية (1618-1620م) :

1-السياق التاريخي:

من بين طموحات الإمبراطور " رودلف الثاني " إنشاء حكومة مركزية متينة في أوروبا ،إذ يسعى للتخلص من البروتستانتية حيث اعتبرهم عرضة للتشكيك في سلطته القيادية و في وحدة الإمبراطورية و قد هب على قمع هؤلاء البوهميين إذ لم يلتزم " بالتسامح الديني[1] سنة 1609 م بالإضافة إلى ذلك كانت هناك محاولات متكررة من جانبه لتقييد حرية الدين و إلزام البروتستانت بالإنتقال إلى الكاثوليكية أو للتخلي عن ممارستهم الدينية، هذه السياسات الصارمة أدت إلى تأجيج التوترات الدينية داخل الإمبراطورية و أوروبا بصفة عامة، و من ثم واصل الإمبراطور "ماتياس" السياسة العدائية بعد موت أخيه[2].

تولى ماتياس الحكم سنة 1612م و لم يكن لديه أطفال لذلك ظلت هذه القضية الشاغل الأساسي للمملكة، لأن الإمبراطور لا يستطيع توريث العرش بسهولة، و لتأمين استمرارية الحكم الهابسبورغي في بوهيميا [3] و بناءا على اتفاق داخلي بين الأسرة الحاكمة و إسبانيا، تم تعيين ابن عمه "فرديناند" " Ferdinand " وريثا للتاج البوهيمي.[4]

---

[1]التسامح الديني: هي " رسالة الجلالة" التي أصدرها الإمبراطور رودولف الثاني سنة 1609م , هذه الرسالة أقرت حرية الوجدان و حرية العبادة للبروستانت في بوهيميا كما تم منحهم حقوق دينية متساوية مع الكاثوليك و كذلك الحرية في ممارسة للشعائر الدينية و بناء الكنائس أراضي التاج البوهيمي أنظر : Tryntje Helfferich, op.cit p 2.

[2] محمد حمزة حسن الدليمي، لبنى الرياض عبد المجيد الرفاعي، تاريخ أوروبا في عصر النهضة د. ط، دار إبن الأثير للطباعة و النشر، جامعة الموصل، 2014 م، ص 144.

[3] بوهيميا: هي مملكة تابعة للإمبراطورية الرومانية المقدسة و تتألف من عدة أقاليم: مورافيا , سيليزيا و لوزاس، غلاتز إيغر: مشكلة بذلك دولة حديثة في الإمبراطورية. أنظر: نور الدين حاطوم ، المرجع السابق، ص 87.

[4] عمار شاكر الدوري، حارث عبد الرحمان التكريتي ،"حرب الثلاثين عام (1618-1648) قراءة الأسباب- النتائج" **مجلة سر من رأى** ، مج :10، ع :38 ، جامعة تكريت، 2014 م، ص 97.

2-مجريات الحرب:

في عام 1618م بدأت حرب الثلاثين عام التي أشعلتها أحداث بوهيميا ، ففي شهر مارس اجتمع الأعضاء البروتستانت من الطبقات البوهيمية في مجلس إمبراطوري ببراغ لمناقشة ما اعتبروه تدخلا قامحا من قبل " فريديناند" في حرياتهم الدينية و السياسية ، خصوصا بعد تهديم الكنائس، كان رد ماتياس بالرفض و هددهم بالإعتقال و طلب منهم بعدم عقد أي تجمع آخر، و مع ذلك تحدى البروتستانت الإمبراطور و اجتمعوا مرة أخرى في مجلس الدايت في 21 ماي [1]، و في 23 ماي هاجم بعض النبلاء البروتستانت على قلعة براغ مقر الحكومة و قاموا باعتقال موظفي الإمبراطور و رميهم من الشبابيك وفق التقليد الشائع في بوهيميا و هذا يرمز عن المجابهة.[2]

عند إعتلاء فريديناند العرش بصفة رسمية سنة 1619 م ، أبى البوهيميون القبول بحكمه، حيث منحوا تاج بوهيميا لـ: "فريدريك الخامس" " Frédéric V " قائد الإتحاد البروتستانتي[3].

كان التمرد البوهيمي مثالا صارما على هذا التوتر المتزايد و لقد عانى الإمبراطور من هزائم مذلة على يد الجيش الكونفدرالي البوهيمي بقيادة الكونتات " فورن ثورن " " Forn Epine" و" فون مانسفيلد " "Vaughn Mansfield " و على يد حليف "فريدريك الخامس" [4]

---

[1] Tryntje Helfferich, op.cit, p4.

[2]زين العابدين شمس الدين نجم، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر،د.ط، دار المسيرة،عمان-الأردن،2016م ص 167.

[3]عبد المجيد نعنعي، المرجع السابق، ص ص 106-107.

[4]فريديريك الخامس : بروتستانتي كالفيني و هو ابن فريديريك الرابع ناخب مقاطعة البلاتين على نهر الراين، خلف أباه سنة 1610 م، تزوج من إيليزابيث إبنة ملك إنجلترا سنة 1613م ، و أصبح رئيسا للإتحاد السوفياتي الذي أسسه أبوه لحماية مصالح البروتستانت، إعتلى عرش بوهيميا بعد تردد سنة 1619م. أنظر: د. عبد اللطيف الصباغ ، تاريخ أوروبا الحديث، 2011 م، ص 40.

"Frédéric V". " بيثلين غابور " أمير " ترانسيلفانا" [1] باشر فريديناند الثاني التجهز للخوض في الحرب ، فإستنجد بزعيم الرابطة الكاثوليكية "ماكسيميليان دوق بافاريا " و حيث عقد معه مفاوضات طويلة لإقناعه بالمساعدة، فوافق هذا الأخير بموجب معاهدة " ميونيخ " استخدام موارده المالية و نفوذه في الإمبراطورية لتكوين جيش يحارب به المتمردين البوهميين ، في المقابل يمنح الإمبراطور له تعويضا على جميع النفقات العسكرية ووعده سرا بمنحه الأراضي في " البلاتينات" ، كما تحصل هذا الاخير على الدعم العسكري من إبن عمه " فيليب الثالث" و في نفس الشهرأقنع أمير" ترانسيلفانا التخلي عن فريديريك مقابل السيطرة على جزء كبير من المجر، حتى الناخب اللوثري " لساكسونيا" " جون جورج" " Jean Georges " قرر تقديم المساعدة مقابل الحصول على أراضي " لوزاتيا [2] " Lusace " العليا و السفلى وحماية اللوثريين .

أصبح فريديناند الآن أفضل بكثير، أما فريديريك على عكس الإمبراطور لم يكسب شيئا تقريبا من مناشدته بالمساعدة، و لم يقدم له صهره جيمس الأول ملك إنجلترا سوى قرض وحذت القوى البروتستانتية الأخرى في أوروبا حذوه و فعلت أقل من ذلك [3] ، هزمت القوات الإمبراطورية جيش " فريدريك الخامس " ملك بوهيميا.

لقد تم إرجاع المملكة لصالح الإمبراطورية الرومانية المقدسة تحت هيمنة الإمبراطور " فريديناند" ، إذ انتزعت الأراضي و زهقت العديد من أرواح الطائفة البروستانتية و حظر إقامة

---

[1] ترانسيلفانا : مقاطعة تاريخية بوسط رومانيا، أهم مدنها كلوج, براسوف ترتفع في الجنوب إلى جبال الكاربات مشهورة بالزراعة و غنية بالموارد الطبيعية تضم اقليات تتحدث الماجارية الألمانية . أنظر: محمد شفيق غربال ، المرجع السابق، 2014م، ص501.

[2] لوزاتيا : إقليم غرب ألمانيا و جنوب غرب بولندا يمتد شمالا من جبال لوزاتيا و غربا من نهر اودر ،أهم مدنه بوتسن جارلتس و زجان ،يتكون الإقليم من لوزاتيا العليا شمال قلب" سكسونيا" و لوزاتيا السفلى ،و كان فيها مضيق جبل براندبورغ و سيليزيا السفلى. أنظر : مولا علي ،المرجع السابق، ص 2896.

[3] Tryntje Helffrich, op.cit pp 7 -8

شعائرهم في بوهيميا " ببافاريا " " Bavière " و عين " ماكسمليان" أميرا عليها بعد خلع " فريديريك" و مصادرة أملاكه، كما استحوذ الجيش الإسباني على ولاية " البلاتينات" التي أجبر سكانها التخلي عن " الكالفنية" و اختيار العقيدة الكاثوليكية ما تمخض عن انتصار الكاثوليك في هذه المرحلة :

- توافد اليسوعيون إلى بوهيميا و شرعوا في بناء الكاتدرائيات و الكنائس و الإرساليات مما أعاد تكوين بوهيميا على العقيدة الكاثوليكية و أدى إلى قمع البروتستانت في النمسا.
- تفكك الإتحاد البروتستانتي و إنهياره على إثر الهزيمة التي لحقت بهم في معركة الجبل الأبيض سنة 1620م. (انذر الملحق رقم 7)
- استولى ملك الدانمارك على السلطة العليا للبروتستانت و كانت تحت سيطرته أجزاء من "هولشتاين" " Holstein" الألمانية.[1]

أدى انتصار قوات الإمبراطور على البروتستانت إلى فتح المجال أمام القوى الأوروبية الأخرى مثل: الدانمارك و بذلك يتحول الصراع من ديني إلى سياسي إقليمي أكثر تعقيدا.

ثانيا: المرحلة الدانماركية (1625-1629م) :

1-السياق التاريخي:

عندما سحقت بوهيما لفتت أنظار الأوروبيين البروتستانت ،إذ إعتبروا هزيمة فريدريك خطرا يحدق بالبروتستانتية و من بين الملوك الذين أقلقهم الوضع نجل الملك " كريستيان الرابع" " Chrétien IV " الطامح لحماية مكاسبه في هولشتاين الألمانية [2] بصفته دوقا عليها بحيث

[1]عبد الفتاح حسن أبو علية ، إسماعيل أحمد ياغي ، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، ط3 و دار المريخ للنشر، الرياض المملكة العربية السعودية، ، ص ص118-119.

[2]هولشتاين: مقاطعة في ألمانيا، من أصل دانماركي، كانت تابعة للدانمارك إلى أن ضمتها بروسيا سنة 1864م قامت نزاعات حول المنطقة أسفرت عن ضم شمالي شلنزفيك إلى الدانمارك (1920م) بموجب استفتاء شعبي أنظر: مسعود الخوند،المرجع السابق، ص 96.

كان له طموح و هو إلحاق المزيد من الأبرشيات إلى ملكه لتكوين مملكة بإسم ولده، عرف بتشدده للبروتستانتية كون جوهره لوثري[1].

2-مسار الحرب:

في عام 1625 كان " كريستيان الرابع " منشغلا بالتخطيط العسكري لتنفيذ الدخول المسلح حيث استعان" بارنهارد دوق سكس ويمار" " Barnhard, duc de Sussex Weimar " في خدمته و كونه دوقيا على" هولشتاين " اتحد مع الأمراء الألمان من الدائرة الساكسونية السفلى مثل دوق " ساكس مكلينبرغ" ، و حسب ما يقره المؤرخون المعاصرون أن الدافع المحرك لأمراء " ساكسون السفلى" ليس ديني و إنما سياسي إقتصادي يتمثل في جشع التوسع الإقليمي، و في نهاية 1625 م تلقى " كريستيان الرابع " دعما من انجلترا ، فرنسا و هولندا.[2]

و في تلك الأثناء حدثت تغييرات على التكتيك الحربي للجيش الكاثوليكي و يمكن تفسير ذلك أن انتصارات حركة الإصلاح الكاثوليكي بفضل القوات البافارية بزعامة " ماكسمليان" و ليست قوات الإمبراطور لهذا رغب هذا الأخير في تكوين جيش قوي ينصاع لسلطته و يتولى خدمته لذلك رحب الإمبراطور بإقتراح " والنشتين "[3] عليه و هو أن يتخذ

---

[1]محمد مظفر الأدهمي ،تاريخ أوروبا الحديث عصر النهضة ،الثورة الفرنسية القرون16-17م ، ط2 ، وزارة التعليم العالي و البحث العلمي ، ،2011م ، ص 67.

[2] David Ogg, Europe in the seventeenth sentry,central,library Mount Pleasont,1925, p137

[3]ولنشتاين :(1563م_1634م) : هو نبيل بوهيمي ،من أبرز القادة العسكريين في الجيش الإمبراطوي الروماني المقدس قدم خدماته للإمبراطور فرديناند الثاني ،جمع جيشا كبيرا و فعالا بفضل تمويل مبتكر يعتمد على الاستيلاء على أراضي الحدود ونهبها،حقق نجاحات عسكرية في عدة معارك انتصاره على كريستيان الرابع و اجباره على معاهدة لوبيك 1629م، لقب بأميرال المحيطات و بحر البلطيق و حصل على مناصب مهمة مثل: دوق مكلنبرغ و في نهاية المطاف تم عزله سنة 1630م بسبب طموحاته السياسية من طرف الإمبراطور كان يرى فيه تهديدا للإستقرار. أنظر: محمد شفيق غربال المرجع السابق، ص1269 .

الإنفاق عليه على أن يكون للجيش نصيب من الغنائم و في المقابل تكون ذخائر الحرب من نصيب الإمبراطور.[1]

استولى " ألبرت والنشتين " على أملاك دوق " فريلاند " الملحقة بالمصادرات البوهيمية ذلك كونه حليف للإصلاح الكاثوليكي المضاد، إذ عزم على تكوين قوة إمبراطورية مدعومة بالاقتطاعات الإجبارية (يقصد بها الغنائم) حيث أصبح يبلغ عدد الجنود (إلى خمسين ألف جندي تقريبا) ، لكن استناد الإمبراطور على القوات التي يسيرها رجل مستقل و يدفع لهم أجورهم وفق نظام غير مألوف للقانون يعتبر منعرجا خطيرا[2].

لقد انهزم " مانسفيلد[3] أمام ولنشتاين " عند جسر "ديساو" حينها فر و تم ملاحقته عبر" سيليسيا" إلى المجر، و في هذه الأثناء لقيا حتفهما كل من " مانسفيلد " و الدوق "برونزويك" سنة 1626م ،و في شهر أوت خسر " كريستيان " المعركة التي قادها أمام " تيلي"[4] و والنشتين" كما أخضعت " شالزويج" و" جوتلاند" ، و تم إخلاء نبلاء " ماكلينبرج" من البلادأما دوق " بوميرانيا" رفع راية الإستسلام.

[1]عمار شاكر الدوري، المرجع السابق، ص 91.

[2]ويليام لانجر ، موسوعة تاريخ العالم،ج 4، تر: محمد مصطفى زيادة ، مكتبة للنهضة العصرية، القاهرة ص 106 – 107

[3]الكونت أرنست فون مانسفيلد (1580م_1626م) :من القادة العسكريين للبروتستانت, عمل لدى "تشارلز إيمانويل" دوق سافواي أنظر:.7- 6 Tryntje Hallfferich pp

[4]الكونت تيلي (1559م_1632م) :زعيم عسكري انخرط في جيش العصبة الكاثوليكية أنظر:

Richard Bonney ,Thirty years war (1618-1648), osprey Publishing,in great britain, 2002, p23.

قام " والنشتين" برفع العلم الإمبراطوري الألماني على مساحات من بحر البلطيق [1]بعد سلسلة من الإنتصارات نتيجة لذلك التقت طموحات "والنشتين" مع رغبات الإمبراطور في تكوين قوة بحرية فعالة و في الواقع أعلن هذا الأخير مرسوما بتعيين "والنشتين" قائدا للأسطول الإمبراطوري في البلطيق، و قد أثار هذا القرار قلق الدول الإسكندنافية و دولا بحرية أخرى مثل فرنسا، انجلترا لأنه يهدد مصالحها الإستراتيجية، كما عارضت اتحاد الإسبان مع الإمبراطورية لأن ذلك منافسة بحرية خطيرة بالنسبة لهم .[2]

لقد سحقت قوات " والنشتاين" و الإمبراطور الجيش الدانماركي و طرده من الأراضي الألمانية و إحتلال معظم أراضيه، علاوة على ذلك حاول التوسع نحو الساحل لتحصين دفاعه ضد أي غزو محتمل من طرف السويد، و في نفس الوقت حاول إخضاع "سترالسند" " Stralsand" فقاوم الميناء فحاصره لمدة خمسة أشهر خلال سنة 1628م وقد تلقى الميناء الامدادات من الأسطولين السويدي والدنماركي فأجبروا " والنشتين" على إزالة الحصار، حينها أدرك على ضرورة عقد اتفاق مع الدانمارك لتفادي تدخل السويد الحرب الى جانب البروتستانت ، وعلى ذلك تم عقد صلح "لوبيك " [3] سنة 1629م الذي ينص على تنازل ملك الدنمارك عن الأسقفيات الألمانية ووعد بأن يكف عن التدخل في شؤون ألمانيا مقابل استرجاع أراضيه المحتلة. [4]

---

[1]بحر البلطيق : يتصل بالمحيط الأطلنطي يمتد في شمال أوروبا و تحيط به السويد، أغتلندا، الإتحاد السوفياتي (بما في ذلك الدول البلطية)، بولوندا, ألمانيا ، الدانمارك ، من أهم موانئه: كوبنهاجن،هوشتاين ، دانزج .أنظر: محمد شفيق غربال، المرجع السابق، ص ص 328-329 .

[2]عبد المجيد نعنعي ، المرجع السابق، ص 109.

[3]لوبيك : هي مدينة في شالزوج تقع شمال المانيا لها ميناء رئيسي يطل على بحر البلطيق عند نهر تراف ،تنتج الآلات والمنسوجات ،أصبحت مدينة حرة منذ 1626 م .أنظر : محمد شفيق غربال ، المرجع السابق، ص 1570.

[4]صالح احمد هريدي ،المرجع السابق، ص 256 .

لقد بلغ النصر الكاثوليكي ذروته في المانيا ،اذ أسفر عن صلح "لوبيك" تراجع الدانمارك عن الكفاح ، وعجز الجيش الألماني مواجهة الامبراطور الذي اغتنم الفرصة لإضطهاد البروتستانت حيث اصدر قرار في مارس 1629 م ، الذي خول للكنيسة الرومانية استرجاع كل الأملاك التي انتزعت منها منذ معاهدة " أوغسبورغ" 1555 م.[1]

اضطر "فرديناند" الى طرد " والنشتين" بعد مناشدات إشراف ألمانيا له ، ذلك بسبب تخوفهم من فقدان امتيازاتهم ومصالحهم التي يهددها جيش ذلك القائد العسكري ، إذ بحلول سنة 1630 م أرغم الإمبراطور أعضاء العصبة الكاثوليكية على تنحيته وتعيين مكانه " تيلي" .[2]

على إثر الهزيمة النكراء للدانمارك، تيقن ملك السويد " أدولف غوستاف" ضرورة وضع حد لنفوذ "آل هابسبورغ"، وهكذا عزم على خوض الحرب من أجل القضية البروتستانتية.

ثالثا-المرحلة السويدية (1630-1635) :

1 -السياق التاريخي:

طمح ملك السويد في تكوين دولة سويدية كبرى تسيطر على شمال أوروبا، وبالفعل لقد توصل لذلك إذ تمكن من بسط سيطرته على بحر البلطيق وجعله بحيرة سويدية بعد أن سيطر على فنلندا و إستونيا بموجب معاهدة 1617 م تخلت روسيا عن انكيريا للسويد كما استولى " غوستاف" على ليفونيا ومصب نهر الفيستولا في فترة صراعه مع بولندا (1621-1629)،إذ تسنى له ذلك بالحصول على السواحل الشرقية والشمالية لبحر البلطيق ، والآن اتجهت أنظاره نحو السواحل الشمالية لألمانيا ، لذا قرر التحالف مع "ريشيليو" [3] (انظر الملحق رقم8) وذلك

[1]محمد مظفر الادهمي ،المرجع السابق، ص 67 .

[2]عبد المجيد النعنعي ، المرجع السابق، ص ص 110-111.

[3] ريشيليو :كاردينال فرنسي ، حاز مكانة سياسية كبيرة ،بدأت حياته السياسية بعد أن نجح في تسوية الصلح بين الملك لويس الثالث عشر و أمه فكسب ثقة الملكة الأم ، و دخل الوزارة سنة 1624 م، ثم أصبح رئيسا لمجلس الملك و غدت له الكلمة الأولى في فرنسا، فخطط لتقوية السلطة الملكية داخل فرنسا للأمراء، حقق تفوق فرنسي على الساحة الأوروبية

بتلقي المساعدة المالية منه مقابل تخويل الكاثوليك لممارسة شعائرهم الدينية في المناطق المحتلة .[1]

لقد اجتاح غوستاف جنوب بحر البلطيق حيث عبر كل من بروسيا الشرقية وبولندا الغربية رغبة منه في الحد من توسع نفوذ الإمبراطور الذي كان يعاديه بشدة لأن هذا الأخير سحب منه شرعية تولي كرسي الحكم في السويد مدعيا أن " سيجسموند" [2] ملك بولوندا الكاثوليكي الأجدر لإعتلاء عرش السويد .[3]

2-مسار الحرب:

نزلت القوات السويدية على سواحل "بوميرانيا" في جويلية 1630 م ،إذ يتألف جيشه من مجموعة من الفلاحين السويديين المتشددين للمذهب البروتستانتي .[4] ومن ثم انطلق من هناك لإنقاذ أهل مدينة "مجد برج" [5] ،وفك الحصار المفروض عليهم (انظر الملحق رقم 9) من قبل جيش الرابطة الكاثوليكية بقيادة " تيلي" لكن اعترضه في الطريق كل من أمير" ساكسونيا" "براندبورج" البروتستانتيان ، إذ تصدى له في وجهه و لم تتمكن قواته من اجتياز ولايتهما

و الحد من سلطة الإمبراطور في ألمانيا و إسبانيا .أنظر : عبد الفتاح أبو علية و إسماعيل ياغى ، المرجع السابق، ص 177.

[1] محمد محمد صالح ، المرجع السابق، ص 204 .

[2] سيجسموند : إبن جون الثالث,ملك السويد و كاترين، انتخب ملكا لبولوندا سنة 1587م عن طريق مساعدة " بان زامجكي " له و في سنة 1592م خلف أباه على العرش، أعلن الحرب على غوستاف ملك السويد لكنه هزم أمامه . أنظر: مولا علي، المرجع السابق، ص1954.

[3] هربرت فيشر، أصول التاريخ الأوروبي الحديث من النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية ، تر: زينب عصمت راشد,أحمد عبد الرحيم مصطفى ، مر: أحمد عزت عبد الكريم دار المعارف بمصر،القاهرة 2001م، ص ص 246 -247 .

[4] ليلى الصباغ ، المرجع السابق، ص 273.

[5] مجد برج: مقاطعة ساكسونيا السابقة ببروسيا تقع شمال وسط ألمانيا على نهر الألب، أكبر مركز لصناعة الصلب سكر البنجر بألمانيا ، قبلت الإصلاح اللوثري 1594م، و انضمت إلى حلف " شاماكالد "1531م .أنظر: مولا علي، المرجع السابق، ص3023.

للوصول إلى المدينة المحاصرة، ما ترتب عنه إلى توغل قوات الإمبراطور لها و تحولها إلى حمام دموي بسبب الجرائم المرتكبة من طرفهم إذ قاموا بأعمال شنيعة من ذبح حوالي عشرين ألف من السكان تقريبا ، كذلك إشعال النيران فهبت حرائق عارمة ، بعدها تحولت وجهة القوات الكاثوليكية إلى "ساكسونيا"، حينها شعرا الأميران بتأنيب الضمير و محاولة إصلاح غلطهما من خلال التحالف مع " غوستاف".[1]

و في سبتمبر 1631 م تغلب غوستاف و حلفائه على العدو الكاثوليكي و الإلحاق به شر هزيمة في موقعة " برايتنفلد" بالقرب من مدينة " ليبزيغ [2] بعدها زحف بجيشه إلى جنوب غرب ألمانيا بإتجاه الراين للإتحاد مع الأمراء الكالفنيين ،في تلك الأنحاء حتى يتم إخضاع أسقفيات " مينز" "كولون" ،"تربر" إلا أن ذلك لم يتحقق بسبب معارضة " ريشيليو" له على ذلك، كما تمكن من هزيمة الجنرال " تيلي" و اغتياله في "ليك " "Luck " سنة 1632م حينما تمكن من احتلال "بافاريا."[3]

أسعد النجاح العظيم الذي حققه السويديون البروتستانت المنتسبين لجميع أنحاء الإمبراطورية، ففي مدينة " أولم " البروتستانتية شكلت تحالفا مع السويديين و تكوين حامية تحت قيادة " باتريك روثوين" أحد الضباط الأسكتلنديين.[4]

---

[1]محمد مظفر الأدهمي ، المرجع السابق ص 69.

[2]ليبزيغ: مدينة جنوب قلب ألمانيا في مقاطعة ساكسونيا ،مركز تجاري و صناعي كانت في طليعة المراكز الثقافية في عهد الفيلسوف " ليبكز" و الموسيقار "بانخ" .أنظر مولا علي، المرجع السابق، ص 2920

[3]بافاريا : أوسع مقاطعة في ألمانيا ، ضلت مملكة مستقلة ضمن الإمبراطورية الرومانية المقدسة عاصمتها ميونيخ، أهم مدنها أوغسبرغ : نورثبرغ، ريغنسبورغ ،أولم، يخترقها الدانوب و يقسمها إلى منطقتين للزراعة ،ذات أهمية إقتصادية فيها احتلها الرومان عام 15 ق.م و تعرضت لغزاة قادمين من بوهيميا و احتلوها في القرن 5 و 6 م . أنظر: مسعود الخوند المرجع السابق، ص 97.

[4] Tyntje Helffrich ,op.cit p 73 -75.

تعرضت ألمانيا إلى موقف مخزي إلى درجة أن الإمبراطور لم يكن لديه خيار آخر سوى استدعاء قائده العظيم " والنشتين " من جديد و منحه السلطة المطلقة، و قام هذا الأخير بتشكيل جيش إمبراطوري و قد تمكن من استعادة " سيليزيا" و "بوهيميا "[1]

من ثم سار به عبر " ساكسونيا" لمواجهة عدوه، و أما " غوستاف " فقد غادر بلاده و اتجه نحو ألمانيا متخذا " نورمبرج " [2] قاعدة لعملياته الحربية و عندما هاجمه " والنشتين " تقهقرت قواه و عند " لوتزن" في عام 1632م التقى الجيشان في معركة عنيفة تشتت أثناءها جيش " والنشتين" و هزم هزيمة ساحقة' إلا أن الجيش السويدي فقد ملكه أثناء المعركة[3] على الرغم من ذلك تواصل الكفاح السويدي تحت قيادة " بيرندهارد " صاحب " ساكس ويمار" على حين تولى "أكسل أكسنتيرنا"[4] (1582- 1604م) الإشراف على الشؤون الخارجية في فترة قصور ابنة الملك الراحل " و تم تكوين حلف " هايلبورن [5] ،عندئذ قاد (بيرنهارد) صاحب

---

[1] John Merriman ,o.p.cit, pp 73/75.

[2]نورنبورج : مدينة في جنوب ألمانيا (بافاريا), من آثارها القصر الإمبراطوري القرن (12م) و كريستينا سانت لوران القرن (14 و 15م), أنظر: مسعود الخوند ص 112.

[3] فراس البيطار ، الموسوعة السياسية و العسكرية ،ج3 ، دار أسامة للنشر و التوزيع ،الأردن –عمان ،2000 م ص1187.

[4]أكسنتيرنا(1582-1654) :رئيس وزراء السويد(1612-1654م) شخصية بارزة في حرب الثلاثين عام،سيطر خلال حكم غستاف على الإدارة و اشتهر بشاطه الدبلوماسي ومع أنه عارض دخول السويدحرب الثلاثين عام إلا أنه قادها في ألمانيا بعد وفاة غوستاف (1632م)،و حصل على إعانات مالية أكبر من فرنسا ثم حملها من التدخل علانية فير سير الحرب لمصلحة بلاده 1636م،كان وصيا على الملكة القاصرة كريستينا،كان كثير الصدام معها و لكنه عارض خلعها 1654م.أنظر: شفيق غربال ،المرجع السابق ص189.

[5]هايلبورن : هو حلف تم تأسيسه في 23 أفريل 1633م،جمع أمراء من دوائر الإمبراطورية في شوابيا,فرانكفونيا،نهر الراين العلوي و السفلي ، و اتفقوا على دفع تكاليف الجيش للعصبة موحد حتى يقام حل المشاكل الدستورية للإمبراطورية و حتى تحصل السويد على تعويض أو ترضية عن مشاكلها ، تم دعمه أيضا من خلال الإعانات المالية الفرنسية و المساهمات المستخرجة من الأراضي المحتلة رفض الناخبان اللوثريان من ساكسونيا و برانبورغ الإنضمام إليه، لكنهما وافقا على مواصلة القتال كحلفاء للسويد أجرى العديد من المفاوضات المنفصلة مع والنشتين. أنظر:

Tryntje Helffrich, op.cit p 75.

"ساكس ويمار" حملة عسكرية على" فرانكفونيا"و استولى على " بامبرج" [1] و" هوخشتاد" و قد تحصل على لقب دوق " فرانكفونيا" الذي منحه إياه رئيس الوزراء، ثم احتل " بلاتينات العليا" و من ثم عاد " ولنشتاين" إلى بوهيميا لإعادة تكوين جيشه إلا أنه بعد مدة زمنية أغتيل على يد جندي إيرلاندي المأمور من طرف الإمبراطور الذي أباح قتله و هذا بسبب الخيانة و التآمر ضده و عقد مفاوضات سرية مع السويديين، عندئذ سلمت القيادة إلى " فريدينانند الثالث" .[2]
[3]

و نتج عن هزيمة السويد انتقال الجزء الجنوب الغربي لألمانيا من السيطرة السويدية إلى السيطرة الإمبراطورية، و في نهاية 1635م تم عقد صلح " براغ" بين الإمبراطور و الأمراء الراغبين في الكف عن الحرب و أهوالها ، و بموجب هذا الصلح تقرر تخلي الأمراء عن السلاح و سحب تأييدهم للسويد، و أصبح جيش ألمانيا تحت سيطرة الإمبراطور بإستثناء أمير " ساكسونيا" الذي احتفظ بعدد من الفرق العسكرية ،و تقرر أيضا إلغاء التحالفات البروتستانتية و الكاثوليكية و إستردادة الأملاك التي استولى عليها الطرفان في الحرب إلى مالكيها.[4]

قد أسفر عن انهزام الجيش السويدي في معركة " نوردلجن" تدخل فرنسا في الحرب ضد قوات الإمبراطور من أجل إعادة توازن القوى في أوروبا و هكذا صرحت فرنسا مساندة السويد في الحرب.

---

[1] بامبرج: مدينة في ألمانيا ،تقع في مدينة فرانكفونيا الشهيرة بكرومها و التابعة لمنطقة بافاريا،شيدت فوق هضاب سبع ودعيت "كابوت أوروبيث " أي مركز العالم ، أنظر: مسعود الخوند ،المرجع السابق ص149 .

[2] ويليام لانجر، المرجع السابق ص110.

[3] فريدينانند الثالث : (1608م_1657م) امبراطور روماني مقدس و ملك بوهيميا و الماجر ،تولى الحكم خلال الفترة (1637-1657م) شارك في حرب الثلاثين عام (1618م_1648م)،ساهمت جهوده في التوصل إلى سلا م وستفاليا سنة 1648م .أنظر: Georges Livit:Ferdinand 3 (1608_1657 Holy Roman enperer article enclopeadia universalis, 1999, site :www.Universaly.com.

[4] زين العابدين شمس الدين نجم ، المرجع السابق ص 172.

رابعا : المرحلة السويدية – الفرنسية : (1635-1648) :

1-السياق التاريخي:

مع تصاعد الحرب انخرطت قوى أوروبية كبرى ، و تغيرت الأهداف لتصبح سياسية فرنسا تحت قيادة الكاردينال " ريشيلو " تدخلت في الحرب سنة 1635 م رغم كونها دولة كاثوليكية حيث رأى هذا الأخير أن قوة " آل هابسبورغ" الذين يحكمون الإمبراطورية الرومانية المقدسة و إسبانيا تشكل تهديدا لدولتهم ، ما دفع به إلى دعم البروتستانت الألمان عسكريا و للقضاء عليهم وسعى إلى كسب جميع أعدائهم المؤهلين لتقديم دعم حربي فعال و على الأخص ضد الإسبان ، كما تحالف مع الهولنديين الثائرين و الإمارات المتحدة و هكذا كانت حرب الثلاثين عام في مرحلتها الأخيرة بين "آل بوربون" [1] و" آل هابسبورغ" [2]

و من الجدير بالذكر أن الإسبان قد احتلوا " فيليبثورج" و " شباير" و " ترين"لكن رئيس المدينة المذكورة في الأخير وضع نفسه تحت حماية فرنسا، و قد دخلت الجيوش الفرنسية التي يبلغ عددها 120 ألف تقريبا في أربعة مقاطعات:

- **في الشمال:** الإستيلاء على هولندا الإسبانية بين المقاطعات المتحدة و فرنسا تحت قيادة "مارشال دي شاتيلون" "Chatillon" و " بريزي" " Brézé".
- **في الشرق :** " اللورين" " Lorraine" و "الألزاس " Alsace " في بلاد "الراينلاند" تحت قيادة الكردينال " لافليت" " la Valette" و إلى " برنارد ساكس ويمار ."

[1]بوربون : أسرة ملكية حكمت فرنسا و إسبانيا و صقليتين و بارما فرع أصغر من عائلة "كابت" اتخذت اسم من قلعة بإقليم بوربونيا (مديرية البيه الآن) و كان أول أصحابها أديمار من أشراف القرن 3م و في 1222م خروج (روبرت أوف كلريون) سادس أبناء لويس التاسع ملك فرنسا من ورثة بوربون و كان إبنه لويس أول أدواق بوربون أنظر :محمد شفيق غربال المرجع السابق، ص428.

[2]عبد المجيد نعنعي ،المرجع السابق ، ص 115

- **في الجنوب الشرقي:** بيموند تحت قيادة (مارشال دي كريكي) (De Crequi) و في " فالتيلين دوق روهان".
- **في الجنوب :** جبال البرانس.

في 20 ماي 1635 حقق " شاتيلون" "Chatillon" و " بريزي" " Brézé" ا انتصارا على الإسبان في إحدى المدن الهولوندية ، لكن الإسبان أنقذوا مواقعهم و هذا راجع إلى تعاون بعض الإمارات الألمانية معها و قد انقسمت القوات الإمبراطورية إلى مجموعتين فالأولى شنت الهجوم على هولوندا و المجموعة الثانية تحالفت مع (لورين شارل الرابع) (Lorraine Charles 4) و هكذا تم تطويق الفرنسيين. [1]

2-السياق التاريخي:

في عام 1636 م جهز " ريشيليو" التكتيك العسكري بأن يشغل الحرب الجانب الفرنسي من ناحية الراين أما الجيش السويدي يشغلها من جهة "بحر البلطيق" جنوب ألمانيا بذلك وجد الإمبراطور نفسه محاصرا أمام الزحف المزدوج غير أنه أصر على مواصلة القتال رغم المساعدة القليلة التي كان يتلقاها من الأمراء الألمان، تمكن من التغلب على الجيش السويدي و أجبره على التراجع حتى حدود بلاده، كما ضغط على الفرنسيين التخلي على الأراضي التي احتلوها[2] ولكن ذلك لم يدم طويلا فقد استطاعت القوات السويدية الفرنسية استرجاع نشاطها الحربي و إحراز عدة انتصارات على القوات الإمبراطورية في" ويتستوك " أكتوبر 1636م (انظر الملحق رقم 10) و على إثر ذلك تمكن الجيش الفرنسي من إجلاء الأعداء من أراضيه ،و في نفس الوقت سيطرت السويد على "براندبرج" ،"سكسونيا"،"بوميرانيا "تورنيجيا " و جزء من "فرانكفونيا "،و قد تطلع البابا أربان الثامن [3] إلى عقد صلح بين الأطراف

[1] Philipe Houdry, op.cit p 10.

[2] عبد الحميد البطريق، المرجع السابق، ص 153.

[3] أربان الثامن (1568-1644م): بابا من 1623م -1644م من فلورنسا ،خليفة جريجوري الخامس عشر و سلف إنسونت العاشر، اضطرمت طول بابويته نيران حرب الثلاثين عام في ألمانيا دون أن يقدم سوى مساعدة ضئيلة للكاثوليك ضد الدول

المتنازعة لكنه لم يفلح في ذلك و قد آل العرش بعد وفاة الإمبراطور سنة 1637 م إلى إبنه "فرديناند الثالث" (1637م-1657م) الذي تنقصه القيادة الكفوءة و محروم من الخبرة السياسية [1] و في نفس العام غزت الجيوش الإمبراطورية بقيادة الجنرال "جوتز" "Goetz" كلا من " هيسن- كاسل" و " Hessen - Cassel " و ممتلكاتها الإقليمية في " وستفاليا"، مما أجبر صاحب الأرض على الفرار مع عائلته بإعتباره عدوا معلنا للإمبراطورية كما تمكن من السيطرة على الحصون الرئيسية في تلك المنطقة، و من ثم إنتقل إلى أقصى شمال الإمبراطورية و غزا شرق "فريزيا" " Varèse" و مع ذلك واصل "برنارد ساكس فايمار " " Bernard of saxony weimar" القتال حيث حقق سلسلة من الإنتصارات على طول نهر الراين و في سنة 1638م استولى على "راينفلدن" "Reinfelden " و أسر قائد (الرابطة الكاثوليكية) "يوهان فون فيرث" "Johan von werth" و ضباط آخرين، و في نفس الوقت أرغم الجيش السويدي قوات الإمبراطور على التراجع إلى "بوهيميا" و "سيليزيا" .[2]

و عند حلول سنة 1639م عرفت الإمبراطورية إخفاقات من بينها تضييع الألزاس التي استولى عليها الفرنسيين كذلك فقدت أقاليم الراين الأعلى.[3]

في عام 1642م توغل الجيش السويدي عبر ولاية "ساكسونيا" و من ثم إلى أراضي "الهابسبورغ" الوراثية وصولا إلى فيينا تقريبا إلا أن جيش الإمبراطور تصدى لذلك بقيادة "الأرشيدوق" "ليوبولد فيلهم " "Leopold Wilhelem " و دفع بالسويديين إلى "ساكسونيا" وفي نوفمبر 1642م، إحتدم الصراع بين الطرفين في معركة " بريتنفلد" الثانية و التي تعد نصرا عظيما للسوييدين و على إثر هذه الحادثة ،تعجل الناخب "ماكسمليان" إلى تحصين

البروتستانتية التي كانت تؤيدها فرنسا غيلر أنه كان جم النشاط في تنظيم شؤون الكنيسة أنظر : مولا علي المرجع السابق ص 216.

[1] عبد العزيز سليمان نوار ، المرجع السابق ص ص 154- 155.

[2] Trynje Halffrich, op. cit .p 157.

[3] عبد المجيد نعنعي ،المرجع السابق ص 116.

"بافاريا" إستعدادا لأي غزو محتمل،و قد دفعت صدمة "بريتنفلد" الأمراء الكاثوليك في جميع أنحاء الإمبراطورية إلى التفكير في السلام بشكل أكثر جدية ،و على سبيل المثال بذلت ماينز و كولونيا جهودا متظافرة لتحقيق الصلح لكن باء بالفشل ، و في شهر ديسمبر من نفس السنة توفي " ريشيليو" و تولى "مازاران[1] السلطة مكانه إذ حقق عدة انتصارات مثل معركة "روكروا" و الإستيلاء على "رتويل" الألمانية بصفة مؤقتة وذلك بسبب سقوطها مرة أخرى على يد البافاريين. [2]

و في أوت 1645م نشبت معركة نوردلجن الثانية بين القوات السويدية بقيادة الجنرال" "غوستاف هورن " و الإمبراطورية الرومانية المقدسة بقيادة " ميليتش فون لشينغن " و انتهت بفوز السويد.

و في عامي 1646م و 1647م حقق التحالف السويدي الفرنسي عدة انتصارات في شمال إيطاليا و"كتالونيا" ،إذ إستولى الفرنسيون على عدة مدن في "فلاندرز" "Flonders "[3]و لكن بعد الاستيلاء على دونكيرك "Dunkirk " [4] عند الهولنديون سلاما منفصلا و نهائيا السماح للأخير باستئناف الهجوم في ألمانيا. [5]

---

[1]مازارين (1602-1661م): رجل إيطالي قام ببدايات متواضعة كجندي في الجيش البابوي قبل أن يصبح ديبلوماسيا, يمر إلى خدمة فرنسا سنة 1640م بعد وفاة ريشيليو سنة 1642م أصبح الوزير الأول للملك لويس الثالث عشر ثم الملك لويس الرابع عشر, و في سنة 1552م كان له دور فعال في توصية السياسة الفرنسية خلال فتة حكم الملك لويس الرابع عشر أنظر :

Aderhold carlton, Petit larousse de l'histoire du monde en 7000 date, larousse, paris, 2006 p91.

[2] Trynje Helfferich, op. cit .p p 160-161

[3] " فلاندرز" : كونتية سابقة بالبلاد المنخفضة مقسمة الآن بين بلجيكا و فرنسا و تمتد بمحاذاة بحر الشمال غرب نهر الشلدت اختفت رقعتها كثيرا خلال تعريفها أنظر : مولا علي ،المرجع السابق، ص2425.

[4] دونكريك : مدينة شمال فرنسا ، بها ميناء للصيد في بحر الشمال ، ضلت عدة قرون ميدانا للصراع بين فرنسا و جيرانها و كثيرا ما تغيرت تبعيتها ، آلت لفرنسا نهائيا منذ 1662م. أنظر: محمد شفيق غربال، المرجع السابق ص 805

[5] Philipe Houdry , op.cit p12.

و على مدار عام 1647م بدأ الدبلوماسيون ببطء في حل خلافاتهم الدبلوماسية المتبقية حول الرضا السويدي و الفرنسي و شكاوي العقارات الإمبراطورية ،هذه التحركات نحو السلام كانت مدعومة بمجموعة من العوامل : الإمبراطور العاجز عن مواصلة القتال مارس ضغوطا على حلفاءه لإفساح المجال و كان الأمراء البروتستانت على إستعداد لتقديم تنازلات من أجل إنهاء الحرب والتخلص من السويديين،و كان السويديون حرصين على جمع غنائمهم و العودة إلى الديار،أما الفرنسيون الذين ساعد جشعهم على هولندا الإسبانية (بلجيكا) في إطالة المفاوضات لمدة طويلة ،ثم لم تعاني الجيوش الفرنسية من موسم الحملات الكارثية فحسب بل أن الكاردينال "مازاران" يواجه مؤامرات و ثورات في الداخل ، كانت الحرب ستتوقف لكن المقاتلين لم يكونوا مستعدين لذلك، ففي 17 ماي 1648م هزم الجيش الإمبراطوري في معركة "زورسمر سهاوزن "خارج "أوغسبرغ" و تقدمت القوات السويدية الفرنسية في قلب "بافاريا" قاموا بأعمال وحشية ضد الأهالي، و أخيرا توصل المفاوضون إلى سلام في "مونستر" و "أوسنابروك".[1]

يمكننا أن نستنتج أن حرب الثلاثين سنة تعد مثالا قويا على كيفية تحول الصراعات الدينية إلى نزاعات سياسية شاملة و كيف تتداخل المصالح الشخصية للدول و القادة مع القضايا العقائدية،ما بدأ كنزاع ديني بين الكاثوليك و البروتستانت في أوروبا الوسطى سرعان ما توسع و أصبح حربا بين القوى الكبرى ممّا يدل على أن الدوافع السياسية قد تطغى على الدوافع الدينية بمرور الوقت.

[1] Tryntje Helfferich ,op.cit pp 163 -164.

تعد معاهدة وستفاليا التي أبرمت عام 1648م من أهم معاهدات العصر الحديث، إذ وضعت حدا للحروب الدينية في أوروبا التي استمرت لمدة ثلاثين سنة، أسست لحقبة جديدة في العلاقات الدولية فولدت أوروبا الحديثة المؤلفة من دول ذات سيادة لكن بعض الدول استفادت أكثر من غيرها.

المبحث الأول: مؤتمر وستفاليا 1648م

أولا –بداية المفاوضات للسلام في المؤتمر:

بناء على الفكرة التي طرحها البابا أوربان الثامن في عام 1635م ،كان من أن يعقد مؤتمران في وستفاليا[1] الأول في مونستر للدول الكاثوليكية والثاني في أوسنابروك للدول البروتستانتية ،ورغم أن الموعد المحدد للاجتماعين كان سيعقد في 22 مارس 1642 م إلا أنهما لم يفتحا رسميا حتى 4 ديسمبر 1644م، ويعد المؤتمر أوروبي إذ شمل معظم الدول الأوروبية تقريبا ماعدا روسيا و الإمبراطورية العثمانية ،إنجلترا ،ولقد شمل مجموعة متنوعة من المشاركين: ،رجال الدين، دبلوماسيون ،مراقبون دوليون و مستشارون قانونيون،وقد ساعد هذا التنوع بين هؤلاء المشاركين في التوصل إلى تسوية شاملة.

لقد تعثرت المفاوضات مؤتمر وستفاليا لمدة طويلة بسبب تعقيد القضايا المطروحة، كان على المشاركين تبادل الأراء بشأن كل نقطة و عدم اتخاذ قرارات إلا بإتفاق جماعي استعمل المفاوضون أسلوب المماطلة و التسويف أملا في تحقيق مكاسب عسكرية قد تعزز مواقفهم

[1]وستفاليا: إقليم يقع شمال غرب ألمانيا مستوى السطح في الشمال و جبلي في الجنوب و يحوي مناطق زراعية و أخرى مراعي و مروجا، كانت وستفاليا الجزء الغربي من دوقية سكسونيا التي تقسمت عام 1180 م ولكن التقسيم لم يشمل وستفاليا و إنما فقدت وحدتها السياسية فإن الجزء الأكبر منها انتقل إلى حكم الأمراء الأحبار(أساقفة مونستر ،أوسنابروك، مندن، بادربورن، ورؤساء أساقفة كولون وبعض السادة غير الدينيين كونتات ليه، رانفرزرج، ومارك) وازدهرت هذه المدن كأعضاء في عصبة الهنزة ، وحصلت براندبورج– بروسيا على رانفرزرج ومارك ومندن في القرن 17م، وفي 1807 م أقام نابليون بونابارت مملكة وستفاليا وتألفت أجزاء من وستفاليا ،من الأراضي المتاخمة وخاصة هس–كاسل ونصب عليها جيروم بونابارت . أنظر :محمد شفيق غربال ،المرجع السابق ص1951.

في المفاوضات، وفي 24 أكتوبر 1648م تم إبرام معاهدتي أوسنابروك و مونستر أي سلام وستفاليا وهو بمثابة "دستور" جديد لأوروبا[1]، وأصبحت اللغة الفرنسية لغة التخاطب بين السفراء و الدبلوماسيين بدلا من اللاتينية.[2]

تعد معاهدة وستفاليا من الوثائق التاريخية البارزة نظرا لمعالجتها لقضايا متنوعة تتعلق بالشؤون الداخلية لألمانيا وكذلك بالدول المجاورة، إذ أصبحت الركيزة التي تستند عليها الدول الأوروبية في تنظيم علاقاتها القانونية وذلك من وقت إبرامها حتى اندلاع الثورة الفرنسية عام 1648 م.[3]

ومما لا شك فيه أن هناك عدة أسباب دفعت بالدول المتحاربة إلى عقد صلح وستفاليا وتمثل فيما يلي:

- دمار القرى والمدن بالإضافة إلى انتشار الأمراض والأوبئة وكذلك تدهور القطاع الزراعي وتراجع النشاط التجاري والخراب التي أحلته حروب الثلاثين عام بالأراضي الألمانية كونها محور الأحداث.
- التغيرات الديمغرافية بين سكان القارة الأوروبية والنزوح القسري للأهالي بسبب النزاعات الدينية التي زادت من حدة الخلافات الطائفية بين الولايات الألمانية.
- تكاليف الحرب الباهظة اذن تحتاج الحرب إلى تمويل مستمر لتجنيد الجيش واقتناء الأسلحة، مما أدى إلى استنزاف الخزينة بشكل كبير ومن الواضح أن الإمبراطور فرديناند الثالث عجز عن تسديد هذه النفقات وهذا ما جعله مجبر بعقد الصلح.
- أصبحت العاصمة فيينا مهددة بسبب الإنجازات العسكرية للسويد وفرنسا فهي هشة غير قادرة على مواصلة القتال.

---

[1]رولان موسنييه، موسوعة تاريخ الحضارات العام، ج4 تر وجيه البعيني، ط:2، منشورات عويدات، بيروت 1987 م ص 240.

[2]علي تسن فرغلي، المرجع السابق، ص 74.

[3]صالح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 265.

- مرت فرنسا في عهد ريشيليو(1622-1642م) بإضطرابات سياسية اقتصادية بسبب استمرار الصراع.
- ملكة السويد كريستينا[1] على الرغم من أنها ورثت العرش إبان حرب الثلاثين عام إلا أنها لم تكن متحمسة لمواصلة الصراع الذي جلب الدمار لأوروبا لهذا سعت لتبني فكرة السلام.
- أصبح الحوار والتفاوض جزءا أساسيا من السياسة الدولية بعد قناعة القادة والزعماء السياسيين من عدم جدوى استعمال القوة العسكرية.[2]

ثانيا-مبادئ صلح وستفاليا:

أعلن صلح وستفاليا مجموعة من المبادئ الجوهرية لإنهاء الحرب وتحقيق تسوية سلمية بين الدول المتحاربة لذلك كانت الأساس التي تبنى عليها العلاقات الدولية وتتمثل هذه المبادئ فيما يلي:

1-مبدأ السيادة الداخلية والخارجية:

تمتلك الدولة السيطرة الكاملة داخل أراضيها مما يسمح لها باتخاذ قراراتها بشكل مستقل دون تأثير من قوى خارجية سواء كانت دينية أو سياسية، ويعتبر هذا المبدأ أساسيا لقيام النظام

[1]كريستينا(1626_1689): ملكة السويد(1632_1654) ابنة غوستاف الثاني و خليفته، رأس اكسنستيرنا رئيس وزراء مجلس الوصاية عليها حتى 1644م ، ثم تولت الحكم دون أن تظهر تقديرا للمسؤولية، أو مراعاة المألوف و كرست وقتها لدراسة الفلسفة، وعاش ديكارت ببلاطها، وشجعت الأدباء و الموسيقيين من بلادها و أدى رفضها الزواج إلى نزول العرش لإبن عمها شارل العاشر 1654م وغادرت السويد بزي الرجال و اعتنقت الكاثوليكية 1655م، ونزلت بروما، حاولت استعادة عرشها، ولكنها أخفقت.أنظر مولا علي، المرجع السابق ص 2696

[2]عصام عبد المنعم البدري، عبد الله أحمد السيد،أثر صلح وستفاليا1648م و مؤتمر فيينا في تطور القانون الدولي العام،المركز الديمقراطي العربي، شوهد يوم 5 أوت2024م على الساعة 13:25 عبر الرابط: www .democratic arabic .center.com

الدولي القائم على احترام الحدود الوطنية، وحق الدول في تقرير مصيرها وكذلك قدرة الدولة على إبرام المعاهدات [1] والاتفاقيات الدولية.

2-مبدأ عدم التدخل في الشؤون الداخلية:

يعني أنه لا يحق لأي دولة أن تتدخل بصورة مباشرة أو غير مباشرة لأي سبب كان في الشؤون الداخلية والخارجية للدول الأخرى، فلا بد من هذه الدول احترام قراراتها، وعدم المساس بها، فالقانون الدولي اعتبر التدخل أنه مخالف لطبيعة العلاقات في المجتمع الدولي لا يسمح بالاستهانة بها.

3-مبدأ الولاء القومي:

قبل صلح وستفاليا كان الأوروبيون يشعرون بالولاء للإمبراطورية أو الكنيسة ولكن بعده ظهر مفهوم جديد "الدولة القومية" أي الولاء أصبح لجنسيته و قوميته وبعبارة أخرى أن الفصل بين السياسة و الدين أصبح يأخذ شكل الحكم الزمني الدنيوي و بموجبه لم يعد هناك سلطة دينية تمارس على دولة من الدول أو أمير أو حاكم و أصبح هذا القرار حق حصري للدولة.[2]

ثالثا-قواعد التسوية السياسية والدينية:

1-المسائل الدينية:

رغم أن التسامح لم يكن بمفهومه الحديث إلا أن "صلح وستفاليا" أسس لمبدأ التعددية الدينية (الكاثوليكية، الكالفنية، اللوثرية) و "صلح أوغسبرغ " بشأن السماح لكل أمير في اختيار

---

[1]المعاهدات:إن المعاهدة بالمعنى الواسع هي توافق إرادة شخصين أو أكثر من أشخاص القانون الدولي العام والهدف من هذا الإتفاق يخضع للقانون الدولي و بما أن المعاهدة اتفاق لايمكن تصور نشوءها من إرادة منفردة واحدة فلابد من تلاقي إرادتان على الأقل حتى يحصل اتفاق هذا العنصر الأول و هناك ثلاثة عناصر أخرى و هي ما يتعلق بأطراف المعاهدة ،الآثار القانونية،الخضوع للقانون الدولي العام .أنظر: د.أحمد شطة ،أ.بلحسن حسام الدين لحسن، "مفهوم العلاقات الدولية و تصنيفاتها" **مجلة البحوث القانونية و الإقتصادية** ،مج:6،ع:2، جامعة عمار ثليجيي الأغواط، 2023م ،ص ص921-922.

[2]رانيا مكرم، "صلح وستفاليا :إرساء القواعد المؤسسة للعلاقات الدولية المعاصرة"، **مجلة آفاق سياسية** ع:19، جامعة عين الشمس، جمهورية مصر ،2017م، ص2.

المذهب الذي يروق له، إذ يهدف هذا إلى تسوية النزاعات الدينية بين هذه الطوائف المسيحية و منحهم حق ممارسة شعائرهم بصفة قانونية ، واعتراف كذلك ما ورد من قبل في" صلح باساو1552"م حرية الاعتقاد و قد منحت للحاكم (الأمير) و ليس للرعية، وفيما يتعلق بالمواد الخلافية في هذه المعاهدة، فإن كل ما تم الاتفاق عليه بالإجماع يعتبر إعلانا دائما للصلح المذكور ولابد من مراعاته، وبالرغم من أن الحكام كانوا قادرين على اختيار المذهب الرسمي لإماراتهم فعليهم واجب أيضا حماية حقوق الأقليات [1]الدينية داخل الحدود الجغرافية لدولتهم هذا يعني مثل اللوثريين في دولة كاثوليكية أو الكالفينيين في دولة لوثرية، كان يسمح لهم بتأدية طقوسهم دون اضطهاد إلى جانب هذا تم حظر التحويلات القسرية أي أنه لا يمكن إجبار الأشخاص على تغيير دينهم تحت الضغط أو التهديد من المفترض أن يكون هناك احترام لمعتقدات الرعايا و إن كانت تختلف عن الدين الرسمي للدولة[2]، لقد تنازل الإمبراطور عن "مرسوم الإسترداد" عام 1624م و"صلح براغ" 1635م يعني أن الأراضي تبقى بأيدي مالكيها سواء من الكاثوليك البروتستانت.[3]

لم يكن الصلح الديني مرضيا لكل الأطراف، استمر بسبب رد فعل ضد التعصب الديني الذي جلب شقاء للعالم المسيحي إلا أن البابا اعتبر هذا الصلح إهانة، فأصدر مرسوما في السادس والعشرين نوفمبر 1648م، يعبر عن رفضه إلا أن أحدا لم يلق بالا.[4]

---

[1]الأقليات: مصطلح الأقليات من المصطلحات الوافدة من الحضارة الغربية نتيجة احتكاك الحضارة الإسلامية بنظريتها الغربية في العصر الحديث ، فالأقلية بالمفهوم الغربي مرتبط بمعاني العنصرية و الإثنية و العرقية والجنسية لا علاقة للعدد في مفهومهم فمثلا الإثنية بالمفهوم الغربي ليست أقلية سياسية أقلية عددية أو أقلية سياسية و إنما أقلية لها هويتها الثقافية مختلفة لأغلبية المجتمع التي تعيش فيه، أما قانونا فمن خلال الإطلاع على المادة 1بأنها مجموعة من الأشخاص المتميزين بسبب العرق أو الدين واللغة.أنظر :أحمد بن الطيب، حقوق الأقليات الدينية –دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية و القانون الدولي –")رسالة ماستر:الشريعة و القانون") ، قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية جامعة أدرار، 2012-2013م

[2]ميلاد مقرحي، المرجع السابق، ص 142.

[3]عبد سليمان نوار، المرجع السابق، ص 156.

[4]وليام لانجر،المرجع السابق ص116.

أصبحت الولايات الكاثوليكية و البروتستانتية متساوية في جميع القضايا المتعلقة بالإمبراطورية بموجب "معاهدة بساو" سنة 1552م و" صلح أوغسبرغ" سنة 1555م، كما تم تحديد الأول من جانفي كتاريخ مرجعي لتحديد قضايا الملكية في الأقاليم التي تشرف عليها الكنيسة مما يعني و أنه سينظر إلى هذه التحفظات الكنسية بجدية و سيراعى احترامها في القرارات المستقبلية، ولم تمنح أية حقوق للبروتستانت في كل من بوهيميا و النمسا لكن احتفظوا بحقوقهم الدينية المعطاة لهم عام 1618م ،ظل حكام الأقاليم محتفظين بحق تنفيذ الإصلاحات في مناطقهم في المستقبل، وهو الحق الذي تم منحه للطوائف الدينية التي لم يخول لها بممارسة شعائرهم الدينية عام 1628م،كما سمح للرعايا بالهجرة ،وكذلك تخصيص المناصب بحيث يكون لكل من الطائفتين الدينيتين تمثيل متساو في البلاط الإمبراطوري لضمان توزيع عادل للسلطات بينهما ،ولقد فشل مؤتمر وستفاليا تشكيل كيان أوروبي موحد و أرسى مبادئ توازن القوى مما أفضى إلى بداية عصر الدول الوطنية القومية.[1]

لقد ساد التعايش الديني بين الكاثوليك والبروتستانت في أوروبا، وبات الوضع الديني جليا، فقد تلاشت تطلعات المصلحين الأوائل في الإطاحة بكنيسة روما، كما أخفقت حركة الإصلاح الكاثوليكي المضاد الحفاظ على هيبة الكنيسة.[2]

2-المسائل السياسية: (انظر الملحق رقم 11)

- **فرنسا:**انتقال الألزاس إلى ملكية فرنسا بإستثناء مدينة ستراسبورغ الحرة (عاصمة الألزاس)و مدن متز(عاصمة اللورين) و تول و فردان (وكانت في يد فرنسا منذ 1552م و كذلك بجينوول و مدينة برايزاخ كما غدالطانها اسميا على كاسل،كونتييه،شاومبرج[3] و حصلت

[1]فوزي جيب الله عامر أرحيم،المرجع السابق، ص 86.

[2]عبد الحميد البطريق ،المرجع السابق، ص156.

[3]صالح أحمد هريدي، المرجع السابق، ص 266.

على قلعة بينرولو وسط مملكة بيدمن الإيطالية ،هيمنت كذلك على أعالي الراين ما أدى إلى استمرار النزاع بين فرنسا و ألمانيا وهكذا غدت فرنسا تتزعم العالم المسيحي.[1]

- **السويد:** أصبحت السويد سيدة على بحر البلطيق وضمنت تفوقها في شمال أوروبا وقد استولت على بوميرانيا الغربية، وبهذا صارت تسيطر على مصب نهر "الأودر والألب" وويزر، كما حازت على عدة أسقفيات كأسقفيتي "بريمن وفردن"[2]، وبذلك أصبح للسويد مقعد في الدايت الإمبراطوري مما سمح لها التدخل في الشؤون الألمانية وأصبحت قوة عظيمة لكن ذلك لم يدم طويلا بسبب ضعف اقتصادها.[3]
- **سويسرا و الأقاليم المتحدة:**خروج سويسرا من قبضة الإمبراطورية و تمكنت من الحصول على الإستقلال ،كما أن هولندا استقلت أيضا و توقفت إسبانيا عن شن الحرب ضدها.[4]

3-الترتيبات السياسية داخل ألمانيا:

فرضت معاهدة وستفاليا الحفاظ على التجزؤ في ألمانيا حيث أصبح الأمراء الألمان يتمتعون بقدر كاف من الإستقلال عن الإمبراطورية و تشكل اتحاد كونفدرالي يتألف من 350ولاية[5] ، ومرتبطين بها اسميا فقط ،وهكذا ضاعت هيبة الإمبراطور و بذلك تبخرت أحلام الأباطرة في السيطرة على مختلف أرجاء الإمبراطورية[6].

[1]عبد الفتاح حسن أبوعلية، المرجع السابق، ص 128.

[2]فرغلي علي تسن ،المرجع السابق ص75 .

[3]حسن صبحي، المرجع السابق ص 156.

[4]ليلى الصباغ، المرجع السابق ص 275.

[5]هربرت فيشر، المرجع السابق، ص 257.

[6]محمد مخزوم، المرجع السابق ص 166.

ولم تبق هناك سلطة مركزية تقدر على سن القوانين و تشكيل القوات المسلحة و فرض الضرائب ومازال يتم انتخاب الإمبراطور من قبل مجموعة من الأمراء المنتخبين الذين يتراوح عددهم ثمانية.[1]

و آلت منطقة بوميرانيا الشرقية إلى براندبرج[2] و تعويضها بأسقفيات مجدبرج ،هلبرشسات، ميدن كامبن التي كانت تستولي عليها السويد ،و بذلك تشكلت نواة دولة بروسيا[3] ، كتعويض عن بوميرانيا الغربية التي استحوذت عليها السويد و أضحى ناخب براندبرج الرجل الثاني في ألمانيا بعد الإمبراطور.[4]

بمقتضى هذا الصلح احتفظت بافاريا بالبلاتينات العليا وبذلك اتسعت مساحتها مما جعلها تتزعم الولايات الألمانية في الجنوب وقع لقب و ملكية هذه المقاطعة لدوق بافاريا رئيس العصبة الكاثوليكية.[5] واستعاد شارل لويس البلاتينات السفلى التي كانت تابعة لمتلكات أبيه فريدريك الخامس[6] وبذلك أصبح لبافاريا و البلاتينات حق الإشتراك في انتخاب الإمبراطور.[7]

المبحث الثاني: نتائج صلح وستفاليا وتأثيره على العلاقات الدولية:

أولا-انعكاسات الصلح:

---

[1]جلال يحي، المرجع السابق ص 29.

[2]براندبرج: مكان في ألمانيا (مدينة برلين) أثري و تاريخي له معنى سياسي ألمانيا و دوليا بالغ الأهمية :شكلت هذه البوابة الحدود الرسمية الفاصلة بين برلين الشرقية و برلين الغربية بعد الحرب العالمية الثانية.أنظر:مسعود الخوند المرجع السابق ص 104.

[3]بروسيا: ولاية ألمانية سابقة عاصمتها برلين ،كانت تشغل النصف الشمالي من ألمانيا ،تمتد من تخوم هولندا و بلجيكا ولوكسمبرج إلى إلى لتوانيا و بولندا،و من بحر البلطيق الدنمارك و البحر الشمالي إلى نهر المين و السوديت و أكبر المدن البروسية بعد برلين :كولون و برسلاو و إسن ،فرانكفولت دملدورف،هانوفر ،يرجع أصل بروسيا في معناها الحديث إلى 1701م حينما اتخذ ناخب براندبرج لقب ملك بروسيا بعد اتحاد ناخب براندبرج مع بروسيا،تحت حكم أسرة هوهنتلرن،وكانت بروسيا في الأصل المنطقة الواقعة على بحر البلطيق .أنظر:مولا علي،المرجع السابق ص 690.

[4]أشرف صالح محمد السيد،المرجع السابق ص 150.

[5]عبد العزيز سليمان نوار ،المرجع السابق ص157.

[6]عبد الفتاح حسن أبو علية،المرجع السابق ص 129.

[7]محمد محمد صالح، المرجع السابق ص 300.

1-فرنسا: حققت انتصارات عظيمة بعد الحرب إذ استولت على أقاليم الألزاس و اللورين واكتسبت تفوق عسكري عظيم بفضل بطولات زعمائها خلال المعارك و كذلك تمكنت من تقليص نفوذ أسرتي هابسبرغ النمساوية _الإسبانية في عهد لويس الرابع عشر[1]،وهكذا أضحت سلالة آل بوربون القوة الرائدة في أوروبا.[2]

2-السويد: أصبحت السويد لاعبا رئيسيا في السياسة الأوروبية، حيث شاركت في عدة تحالفات وتأثيرات للنزاعات الأوروبية اللاحقة، إلى جانب هذا تمكنت السويد من التحكم على التجارة البحرية وفرض رسوم على السفن المارة في بحر البلطيق وهكذا أضحت في عداد الدول العظمى لكنها بدأت تواجه تحديات جديدة من جيرانها مثل روسيا، بولندا.

3-بروسيا: دعمت فرنسا إمارة بروسيا الناشئة تحت حكم الأسرة المالكة "هنتزلرن"بهدف تكريس سلطتها ضد آل هابسبرغ بإعتبارهم خصما رئيسيا لهم، وبفضل هذه المساندة خرجت بروسيا ظافرة من الحرب وأصبحت زعيمة العالم الألماني، لكن في عهد فريدريك الأكبر

[1]لويس الرابع عشر(1638-1715م): يلقب "بملك الشمس "و "لويس الأكبر" ابن لويس الثالث عشر ،حكم فرنسا (1643-1715)،رفع الملكية إلى ذروة مجدها وأوج سطوتها ،بدأ حكمه تحت وصاية أمه آن النمساوية ،وسيطر عليه الكاردينال مازاران حتى وفاته 1661م ،أهم أحداث هذه الحقبة (1643-1661)،انتصار فرنسا في حرب الثلاثين عام،وإخماد ثورة الفروند الداخلية ،وعند صلح البرانس مع إسبانيا1659الذي نتج عنه زواج لويس من ماريا تيريزا أميرة النمسا ،وكانت الفترة (1661-1683)عهد إصلاح اقتصادي إداري .أنظر :محمد شفيق غربال، المرجع السابق ص1585.

[2]محمد مخزوم ،المرجع السابق ص 167.

(1740–1786م) [1]بدأت تهديداتها ضد مصالح فرنسا مما حول الحليف السابق إلى خصم كبير في السياسة الدولية. [2]

4–هولندا: أصبحت هولندا مركز تجاري عالمي فهي تمثل نقطة عبور رئيسية للتجارة بين البحر المتوسط والمحيط الأطلسي مما سهل وصول السفن التجارية إلى الأسواق الأوروبية والعالمية وسمح الاستقرار الاقتصادي لهولندا بتوسيع مستعمراتها في مناطق جديدة مثل آسيا والأمريكيتين وقد وفرت المستعمرات أسواقا لتصريف بضائعها.

5–إسبانيا: لقد شهدت إسبانيا أزمات سياسية واقتصادية، ومما أدى إلى تراجع مكانتها الدولية، وأضعفت هيمنها على الساحة الدولية، فقد عانت من الإفلاس المالي بسبب التكاليف الباهظة للحروب على مدى العقود السابقة بما في ذلك حرب الثلاثين عام التي أدت إلى أزمة مالية خانقة، وأصبحت الخزينة مثقلة بالديون ما قلل قدرتها على تمويل العمليات العسكرية، وبالرغم من التحديات التي واجهتها إسبانيا استمرت في توسيع إمبراطوريتها الاستعمارية في العالم الجديد.[3]

6–إيطاليا: أثر الصلح بشكل غير مباشر على إيطاليا، إذ تدنت قيمتها في أوروبا وكانت من قبل محل أنظار أوروبا كونها بؤرة الإصلاح الكاثوليكي المضاد وإحدى مراكز

---

[1]فريدريك الأكبر(1716–1786م):خلف أباه فريدريك وليم الأول ،كان موضع ازراء والده لإهتمامه بالفن و الجمال،لما أصبح ملكا أظهر مقدرة على الزعامة و البث في الأمور لم تكن متوقعة ،ادعى ملكية أجزاء بعض أجزاء من سيليزيا وبدأ حرب الوراثة النمساوية بهجوم مفاجئ على ماريا تيريزا1740،وكذلك حرب السنين السبع(1756–1763)إل جعل بروسيا أول دولة حربية،وكان المحرك الأول لإقتسام بولندا 1772م الذي زاد من رقعة مملكته،وقضت حرب الوراثة البافارية (1778–1779)أنظر :محمد شفيق غربال،المرجع السابق ص 1286.

[2]ذيب جمال، مجاهدي جابر،القيمة القانونية الدولية لمعاهدة –وستفاليا– (مذكرة ماستر :تخصص القانون الدولي العام)،قسم الحقوق،كلية الحقوق و العلوم السياسية،جامعة زيان عاشور،الجلفة،2020_2021م ، ص ص 48–49.

[3]حسن صبحي،المرجع السابق ص159.

الإمبريالية[1] الإسبانية.[2]

7-الإمبراطورية الرومانية المقدسة(ألمانيا):

بعد الصلح تحولت الإمبراطورية إلى مجموعة من الولايات المستقلة بدلا من كيان موحد كما كان يطمح كل من ماكسمليان وشارل الخامس و قد باتت الولايات الألمانية مجزأة ما أدى إلى ضياعها لحقبة زمنية طويلة.

أصبحت ألمانيا في حالة يرثى لها بسبب الدمار الذي ألحقته بها حرب الثلاثين عام، بالإضافة إلى ذلك شاعت ظاهرة الهجرة الديمغرافية حيت كان السكان ينتقلون من الأرياف إلى الحواضر[3]، وتدني مستوى المعيشة و انخفاض قيمة العملة لاختفاء الفضة والذهب إلى جانب هذا تدمير القطاع الزراعي الذي يعد العمود الفقري للاقتصاد الألماني وكذلك حدوث المجاعة و تفشي الأوبئة.

وقد أدت ظاهرة النزوح الريفي وهبوط أسعار الأراضي إلى إفلاس النبلاء لأن عائداتهم تعتمد على إيجار الأراضي أو فرض الضرائب على الفلاحين ما دفع بهم اللجوء إلى الإقتراض من المرابين لتسديد نفقاتهم، فتراكمت عليهم الديون و تدهورت أحوالهم المعيشية لأن أراضيهم قد بيعت إلى الأديرة، أما ظروف ظروف الفلاحين تحسنت تدريجيا بعد إلغاء نظام القنانة (عبيد الأرض)، و غير ملزمين لخدمة أرباب الأرض في غرب و جنوب ألمانيا،وقد استفادوا من النكبة ،إذ منحهم الإقطاعيون عدة امتيازات لاستغلال أراضيهم.[4]

---

[1]الإمبريالية:هي مرحلة متطورة من الرأسمالية، لها مظاهرها السياسية و العسكرية و الإقتصادية، سادت الوضع الدولي في العصور الحديثة ،جوهرها التوسع و الهيمنة، ويمتد بعدها التاريخي إلى ظاهرة الإمبراطوريات التوسعية إبان العصور القديمة، وأعيد إنتاجها على نحو مختلف بعد توسع السوق الرأسمالية ، وبذلك فإن مفهوم ظاهرة الإمبريالية يرتبط ارتباطا وثيقا بالاستعمار و الرأسمالية. أنظر : فراس البيطار، الموسوعة السياسية و العسكرية،ج1، المرجع السابق ص 21.

[2]ذيب جمال، المرجع السابق، ص47.

[3]حسن صبحي، المرجع السابق، ص160.

[4]حسن صبحي، المرجع السابق، ص ص 161-162.

ثانيا-تأثير صلح وستفاليا على العلاقات الدولية:

1-بروز التمثيل الدبلوماسي في العلاقات الدولية:

في القرن الخامس عشر بدأت المدن الإيطالية مثل فلورنسا، البندقية و ميلانو بتطوير ممارسات دبلوماسية[1] منظمة، حيث كانوا يرسلون سفراء دائمين إلى المدن الأخرى للتفاوض ، وفي القرن الموالي تبنت دول مثل إسبانيا ،فرنسا، وإنجلترا هذا العرف الدبلوماسي و شرعت في بعث سفراء دائمين إلى العواصم الأخرى. [2]أما الإمبراطورية الرومانية المقدسة تتمتع بنفوذ وسلطة أكثر من باقي الدول الأوروبية ولم تكن مضطرة للامتثال لنفس الأعراف الدبلوماسية التي تبنتها الدول الأخرى لأنها تعتبر نفسها فوق هذه الدول ولابد من الانصياع لها، وبعد عقد مؤتمر وستفاليا سنة 1648م تغيرت موازين القوى حيث تم الاعتراف رسميا بسيادة كل دولة مستقلة، هذا يعني أن كل دولة أصبحت تعتبر كيانا مستقلا له الحق في إدارة شؤونه الداخلية ،هذا الاعتراف أضعف هيمنة الإمبراطورية و جعلها تتساوى مع باقي الدول الأوروبية، ويعتبر هذا أول مؤتمر دولي أرسلت إليه الدول الأوروبية مندوبيها لإرساء السلام في أوروبا وهو الذي وضع أسس الدبلوماسية الحديثة ،وكان للتمثيل الدبلوماسي دور بارز في ترسيخ العلاقات الدولية لاسيما في فترات السلم كما أصبحت الدبلوماسية اليوم متخصصة تمارس بشكل أساسي من قبل الطبقة الأرستقراطية التي تمتلك المهارات و المعرفة اللازمة لتمثيل بلادها

---

[1]الدبلوماسية: كلمة يونانية الأصل، استخدمت منذ عهد الإمبراطورية الرومانية، وكانت تعني مهمة حفظ الوثائق التي تتضمن الإتفاقيات الخارجية، وكانت تلك الوثائق تعرف بإسم "الدبلوما" وعرف القائم عليها بإسم الدبلومات "الدبلوماسي" ثم تطور مدلول اللفظ حتى شمل اليوم عدة معاني. تعرف أيضا بأنها علم وفن ممارسة التمثيل الخارجي بواسطة هيئة من الممثلين السياسيين تعرف بالسلك الدبلوماسي ، فالدبلوماسية من حيث أنها علم تشمل دراسة القانون الدولي العام و الخاص ،و تاريخ تطور العلاقات الدولية و المعاهدات التي تنظم هذه العلاقة لا سيما إذا كانت الدولة ينتسب إليها الدبلوماسي.

أما من حيث الدبلوماسية فن فذلك يشمل إحاطة بالعرف الدبلوماسي و أساليب الإتصالات الدبلوماسية و استخدام و حفظ الوثائق ، ومعرفة امتيازات السلك السياسي و التقاليد الخاصة في المراسيم في الإستقبالات الرسمية وعقد المؤتمرات و غير ذلك مما يتصل بمهمة الممثل الدبلوماسي في الخارج.أنظر: فراس البيطار،ج1،المرجع السابق ص 91.

[2]صالح عبوش، المرجع السابق، ص 239.

بشكل لائق كما أن الدبلوماسيين يؤدون دورا فعالا في تحسين صورة بلدانهم و حكوماتهم في الأوساط الدولية .

بعد مؤتمر وستفاليا تطورت البروتوكولات الدبلوماسية لتشمل قواعد تتعلق بمنح الحصانة و الامتيازات التي أصبحت معترف بها دوليا ، مما يعني أن الدبلوماسيين يتمتعون بحماية قانونية خاصة الدول المضيفة ، فضلا عن ذلك شكلت مبادئ وستفاليا الأساس لنظام دولي منظم حيث تعترف الدول ككيانات ذات سيادة ، هذا التنظيم ساهم في تحقيق الاستقرار الدولي ، كما بدأت الدول في تبني نهج متعدد الأطراف للتعامل مع القضايا الدولية ، مما أدى إلى تشكيل مؤتمرات دولية و منظمات دولية لاحقا مثل هيئة الأمم المتحدة لحل النزاعات من خلال الوساطة و الضغط على الأطراف للتوصل إلى تسويات سلمية .[1]

2-بروز القانون الدولي:

لقد تأثر الغرب الأوروبي بشكل كبير بالأعمال الوحشية التي صاحبت مجريات الحرب ، و هذا ما دفع بعض المفكرين إلى إدراك ضرورة وضع قواعد و أسس للدول التي أعلنت حدادها و مداواة الضحايا و منع إلحاق الضرر بأرواح الأبرياء و من أبرز من دعا إلى هذا الأمر هو هوجو جروتيوس الهولندي Hugo Grotius (1583-1665م) و بسبب نشاطه السياسي المعارض لحكام هولندا حكم عليه بالسجن لمدى الحياة لكنه تمكن من الفرار سنة 1619م ، و استقر في باريس و هناك كتب عمله الشهير المعنون بـ: " مقال عن قانون الحرب و السلام " الذي نشر سنة 1625م و الذي يعتبر أول كتاب يتناول موضوع القانون[2] الدولي بشكل منظم و لهذا عد جروتيوس منشئ القانون الدولي، فحسب اعتقاده أن القانون

[1]محمد محمد صالح، المرجع السابق، ص 301

[2]القانون: هو فرع من القانون الدولي يتعامل مع العلاقات بين الدول و تنظيم سلوكها،في الساحة الدولية ، يتألف من مجموعة من القواعد و المبادئ التي تحكم تعاملات الدول مع بعضها البعض و تحدد حقوقها وواجباتها و الإلتزامات التي يجب عليها الإمتثال لها،يهدف القانون الدولي العام إلى إلى إنشاء نظام قانوني يساعد الحفظ على السلم و الأمن الدوليين.

أنظر: د.بن لخضر محمد،" أسس القوة الإلزامية لقواعد القانون الدولي و سيادة الدول"، **مجلة القانون**، ع:8، المركز الجامعي أحمد زبانة، غليزان ،2017 م ، ص40.

الطبيعي هو شريعة أخلاقية معترف بها عالميا لأنه يتوافق مع الفطرة البشرية في جميع أنحاء العالم ، و على الرغم من أن هذا القانون مستمد من الفلسفة اليونانية القديمة إلا أنه لا يتلاءم مع المبادئ الدينية التي تقول : " أحب لغيرك ما تحب لنفسك " و قد صاغ جروتيوس نظرياته لضمان تحقيق العدالة في العالم استنادا على هذا المبدأ ، و حسب اعتقاده أن الحروب بين الدول لا يمكن تجنبها لأنها تنبع من العواطف والمصالح الشخصية، واعتبر أن الوصول إلى اتفاق بين الدول حفاظا على السلام أو وضع حد للحروب، بناءا على ذلك إذا كانت الحروب حتمية يجب تحديد نطاقها بحيث لا تمتد إلى الدول غير المعنية مع محاولة تقليل الأضرار قدر الإمكان مثل تجنب النهب و سفك الدماء و تدمير الممتلكات.

كان لكتابات هوجو جروتيوس تأثير بالغ في تخفيف آثار الحروب حيث وضع أسس متينة للقانون الدولي خلال القرن السابع عشر و أصبح الإلتزام بهذه المبادئ جزءا من هذه الإتفاقيات و المعاهدات الدولية ، بالإضافة إلى ذلك أدمجت العادات و التقاليد بين الدول في إطار القانون الدولي حتى و إن لم تكن جزءا من المعاهدات الدولية لما لها من دور في تحسين العلاقات الدولية و حل النزاعات الدولية إلا أنه في حالات التصادم بين المصالح الكبرى قد تتجاهل الدول الإلتزامات الدولية دون أن يؤخذ ذلك بعين الإعتبار[1].

يعد صلح وستفاليا النشأة الحقيقية للقانون الدولي و تكريس لمبدأ سيادة الدول داخليا وخارجيا في إقليمها ،اعتبارها صاحبة الحق السيادي في عقد المعاهدات ،دولة معترف بها و بحدودها و بسيادة ملكها الذي لا يخضع للإرادة السياسية لأي جهة كانت بغض النظر عن مذهب الدولة الديني أو نظامها السياسي ،بالإضافة إلى أن المعاهدة أوجدت تعريفا للدولة الحديثة في جماعة من الناس يعيشون بصورة دائمة فوق إقليم جغرافي محدد يخضعون لسلطة سياسية لها سيادة تكون هذه السلطة أصلية دائمة غير قابلة للتجزؤ.[2]

---

[1]محمد محمد صالح، المرجع السابق ،ص ص 302-303.

[2]قناة السياسة و العلاقات الدولية،معاهدة وستفاليا :السيادة و إنهاء الصراع الديني و ظهور الدولة القومية الحديثة ،شوهد يوم 6أوت 2024م على الساعة 20:45 عبرالرابط:.www.youtube.com app=desktp.

3- ظهور مبدأ التوازن الدولي:

إن المفكر ميكافيلي [1] " Machiavélique " لم يكتب بطريقة مباشرة عن مفهوم توازن القوى ،ففي كتابه "الأمير"قدم رؤية جديدة حول مفهوم الدولة كسلطة سياسية لها حقوق و واجبات لابد من الدفاع منها ،هذا المفهوم كان له تأثير كبير على تطور نظرية العلاقات الدولية حيث يعتبر توازن القوى جزءا أساسيا منها ومع ذلك لم يتجسد هذا المفهوم بصفة رسمية حتى إبرام معاهدة وستفاليا.

من الواضح أن فكرة التوازن الدولي تتطور بشكل ملحوظ، و قد أكد أستاذ القانون ألبريكو جنتيلي "Alberico Gentile " على ضرورة الإعتماد على قيم علمانية في العلاقات الدولية ، ساعد في تطور مفهوم التوازن الدولي، وفي رأيه أن الحرب يجب أن تفهم كمسألة سياسية بدلا من كونها قضية أخلاقية وقد أيد ألبريكو جنتيلي االتوازن الدولي الذي صرح :"إن الحفاظ على الذرات يعتمد على توزيعها بشكل متساوي.....وكان هذا هو الشغل الشاغل ل:لورنزو ميدتشي الذي كان يبحث عن السلم من خلال الإبقاء على توازن القوى في إيطاليا.[2] ولقد صلح وستفاليا يهدف إلى تقليص آل هابسبرغ لكي تكون بنفس المرتبة مع الدول الأخرى وبذلك يمكن الحفاظ على التوازن الدولي.

أصبح مبدأ التوازن الدولي كأداة تستخدمها الدول الكبرى لتبرير أفعالها أثناء تقسيم الدول الضعيفة، فحينما تسعى دولة قوية للهيمنة على جزء من إقليم دولة ضعيفة، تتدخل دولة قوية

---

[1] نيقولا ميكافيلي (1469-1527): ولد ميكافيلي في فلورنسا في عام 1469 من أسرة متوسطة الثراء،وحصل ميكافيلي على قسط من التعليم أهله ليتدرج في الوظائف الحكومية في فلورنسا ، فعين سكرتيرا عاما للحكومة بعد أن استشهد سافونارولا و أرسل رسولا في عدة بعثات دبلوماسية دقيقة كان بعضها إلى خارج إيطاليا و البعض الآخر إلى الإمارات المختلفة في شبه الجزيرة الإيطالية لتنفيذ السياسة الخارجية لفلورنسا وقد استفاد كثيرا ميكافيلي من البعثات الدبلوماسية فخبر الكثير من خفايا السياسة الدولية ، ولمس من كثب رجال السياسة.أنظر: عمر عبد العزيز عمر، المرجع السابق ، ص46.

[2] صالح عبوش، المرجع السابق، ص 240.

أخرى للاستحواذ على الجزء المتبقي مما يحافظ على توازن القوى، وقد استمر هذا المبدأ في العقود التالية وطبق بدرجة كبيرة في القرن العشرين.[1]

ومن أجل تجسيد هذا المبدأ تم تنسيق خريطة توزيع القوى استنادا على مجموعة من المعطيات الإستراتجية التي تقوم على عدة أسس كالتالي:

- أولا: لا يمكن أن تتحالف كل من فرنسا و بريطانيا تحت النفوذ الفرنسي لتفادي نشوء كيان قادر على بسط هيمنته على النظام بأكمله و التفوق على توازن القوى.
- ثانيا: لا يسمح للإمبراطورية الرومانية المقدسة بالتوسع على حساب الدول المجاورة لنفس السبب .[2]
- ثالثا: لا يسمح لروسيا بالتسلل في شرق و جنوب شرق أوروبا بما في ذلك أراضي الدولة

العثمانية و قد تطورت هذه السياسة لتشمل أبعادا أوسع في وقت لاحق.

- رابعا: تقييد الطموحات التوسعية لفرنسا في نظام أوروبا و السيطرة على الدول المجاورة.
- خامسا: عادة ما تدعم الدول الصغيرة تحالفات الدول القوية ضد التحالف الموسع للحفاظ على توازن القوى و صيانة وحدتها الإقليمية و حريتها السياسية.
- سادسا: بريطانيا كانت تحافظ على توازن القوى الدولي من خلال دعم دول أو تشكيل تحالفات بهدف التصدي لأي دولة تطمح للتوسع فإذا بدأت دولة بتوسيع نفوذها ، فإن الدول الأخرى تتعاون لتشكيل تحالفات حتى لا تتفوق الدولة المتوسعة.

منذ عام 1648م التزمت معظم الدول الأوروبية بمبادئ توازن القوى حيث كانت تهدف إلى إحباط محاولات التوسع التي قادها ملك فرنسا لويس الرابع عشر " Louis XIV " وثم

---

[1]محمد محمد صالح،المرجع السابق ، ص 304.

[2]لياس نايت قاسي، "نظام توازن القوى بعد مؤتمر وستفاليا 1648م "، **مجلة الباحث** "، مج:13،ع:1،المدرسة العليا للأساتذة مبارك الميلي ،2021م ، ص 19.

تحقيق سلسلة من التحالفات ضده مثل التحالف الذي تشكل عام 1665م بقيادة بريطانيا وبعض الدويلات الأخرى و الذي هدفه كبح السياسة التوسعية لفرنسا في الأراضي الهولندية.

عند تمكن فرنسا من احتلال هولندا ، دفع بعض الدول الأوروبية كل من بريطانيا ،إسبانيا ،السويد و الدويلات الألمانية إلى تكوين تحالف ،وقد نجحت في ردع النفوذ الفرنسي.[1]

من خلال ما سبق يمكننا القول أن سلام وستفاليا 1648م ،لم تكن تسوية شاملة كما كان يأمل حيث فشل في إنهاء الصراع بين فرنسا و إسبانيا الذي استمر حتى إبرام "معاهدة البرانس" سنة 1659م ولم تكن التسوية الوستفالية سوى شكل غير مكتمل للتحول في ميزان القوى من آل هابسبرغ الإسبان إلى رجحان آل بوربون الفرنسيين و لهذا تظل معاهدة وستفاليا من أعظم الإنجازات الدبلوماسية التي حققها الكاردينال مازارين .

[1]لياس نايت قاسي،المرجع السابق، ص 20.

بعد دراستنا لموضوع حرب الثلاثين سنة التي دارت على مستويين جاء الأول على شكل صراع بين الكاثوليك والبروتستانت في الإمبراطورية الرومانية المقدسة بينما تضمن المستوى الثاني على شكل صراع سياسي بين القوى الأوروبية خلال القرن السابع عشر ومن هنا نستخلص النتائج التالية:

- المذهب البروتستانتي كان يهدف إلى تجديد الدين المسيحي من خلال العودة إلى النصوص الأساسية للكتاب المقدس و تجاوز تقاليد و طقوس الكنيسة التي كانت تسيطر على عقول الناس، و قد ساعد في تقويض السلطة الإستبدادية لرجال الدين.
- أدى (مارتن لوثر) دورا بارزا في الإصلاح الديني لألمانيا حيث انغمس في دراسة الإنسانية و الفلسفة و لم تكن ثورته مجرد احتجاج على نظام حكم فاسد أو وضع اجتماعي مستبد بل ثار على النظام اللاهوتي انهارت سمعته، و من خلال قراءته للنصوص الدينية توصل (لوثر) إلى أن الخلاص المسيحي لا يتحقق من خلال الجهود الشخصية بل هو هبة من الله التي تنبع من الإيمان به ، و قد تيقن كذلك أن الكنيسة الكاثوليكية كانت تبث معتقدات مضللة لهذا لابد من محاربتها.
- كانت الحروب الدينية في أوروبا غير حتمية و كان بإمكان الأوروبيين تفاديها لو أن الكنيسة الكاثوليكية لبت لإصلاحها داخليا من أجل تطهير مفاسدها أو تبني مبادئ (مارتن لوثر) و (زوينجلي) و (جون كالفن) فربما تنجو من ويلات الحرب الشرسة و يبدو جليا أن الأساقفة و رجال الدين كان يخشون من تضييع امتيازاتهم وزعزعة سلطتهم ما دفع بهم إلى حشد الجيوش لحماية أملاكهم متنكرين بغطاء الدين في معظم الأحيان.

- لقد قضت الحروب الدينية على التلاحم المسيحي وسلطة الكنيسة الطاغية كما مهدت الطريق لتحرر الفكر من قيود الكنيسة التي كانت تمارس التسلط وبذلك شهدت العلوم تقدما ملحوظا دون تدخلها، و برز المد القومي.
- لقد أسفر عن الإصلاح الديني تجزء العالم المسيحي إلى البروتستانتية و الكاثوليكية والأرثوذكسية.
- "صلح أوغسبرغ " الذي تم توقيعه عام 1555م هو محاولة لحل النزاعات بين الطوائف المسيحية في الإمبراطورية الرومانية المقدسة و رغم أنه قدم حلا مؤقتا إلا أنه لم يسوي كافة الخلافات الدينية و كذلك لم يرض جميع الأطراف و قد استمر الصراع بين الكاثوليك و البروتستانت ما أدى إلى اندلاع حرب ثلاثين عام.
- كان الصراع ذو طابع ديني في البداية حيث كانت القوى الأوروبية المتورطة تتصارع بناءا على انتماءاتها الدينية لكن مع تطور الحرب أصبح النزاع أكثر تعقيدا حيث بدأت الدول الكبرى مثل فرنسا التي لم تكن طرفا مباشرا في النزاع الديني فتدخلت لتحقيق مصالحها السياسية و الإقليمية.
- يعتبر "صلح وستفاليا " سنة 1648 م البداية الأولى لنشوء ما يعرف بالقانون الدولي حيث سعى إلى معالجة المشاكل التي نتجت عن الحرب و وضع مبادئ جديدة لتنظيم العلاقات بين الدول الأوروبية.
- جاء صلح وستفاليا بترتيبات ساعدت على ترسيخ سيادة الدول على أراضيها و ضبط حدودها بوضوح ، هذه الترتيبات أدت إلى تكريس السلطة المركزية في العديد من الدول الأوروبية، أحسن مثال فرنسا حيث تمكن ملكها (لويس الثالث عشر) من تقوية سلطته المركزية عبر تقليص سلطة النبلاء و تعزيز دور الملك في إدارة شؤون الدولة و بعد وفاته خلفه إبنه (لويس الرابع عشر) الذي أصبح مثالا بارزا للحكم الملكي المطلق حيث لقب بملك الشمس و قد استخدم شعار " **أنا الدولة**" .

- لقد تم اعتماد مبدأ التوازن الدولي كأداة لحفظ السلم و الأمن الدولي و هو المبدأ الذي يقوم على أساس تحالف الدول الأوروبية للحد من توسع أو سيطرت دولة أخرى كما حدث عندما تدخلت بعض الدول الأوروبية للخوض في حرب ضد فرنسا حينما سعى (لويس الرابع عشر) توسيع نفوذه على حساب جيرانه و الهيمنة على القارة الأوروبية.
- "صلح وستفاليا " وضع حدا لحرب الثلاثين عام التي أنهكت الدول المتحاربة و دمرت مدنها و قراها و أضعفتها سياسيا و اقتصاديا و اجتماعيا خاصة ألمانيا .
- "صلح وستفاليا " رسخ مبدأ التسامح الديني و أقر بضرورة التعايش بين الكاثوليك و البروتستانت و ضاعت مساعي رواد الإصلاح البروتستانتي في التخلص من الكاثوليكية كما تلاشت جهود رجال الإصلاح لإرجاع الكنيسة الكاثوليكية إلى سابق عهدها .
- نتائج الحرب كانت إيجابية للسويد، فرنسا وهولندا الأولى كرست سيادتها على بحر البلطيق والثانية وصلت الراين لأول مرة في تاريخها والثالثة استقلت عن اسبانيا، أما لإسبانيا كانت سلبية فقد خسرت هولندا التي كانت تابعة لها، أما بالنسبة لألمانيا فمانت النتائج كارثية بسبب استيلاء فرنسا على قسم من الألزاس وبعض المناطق الأخرى وبقيت مفككة و ضعيفة.
- التحول الكبير الذي عرفته الحرب وذلك تابعا للمصالح المعنية لكل دولة فبعد أن كان الصراع ديني مذهبي تحول إلى صراع سياسي ذو نزعة إقليمية تبعا للمصالح أو رغبة في الحصول على مكسب إقليمي.

الملحق رقم 1 : رائد الإصلاح الديني مارتن لوثر(1483-1546م).

Frédéric Delouche ,Illusttraed history of Europe ,library of congrès cataluing-in-publication Daza ,first amerecan edition ,1993.

الملحق رقم 2 : خريطة حرب الثلاثين عام (1618-1648م).

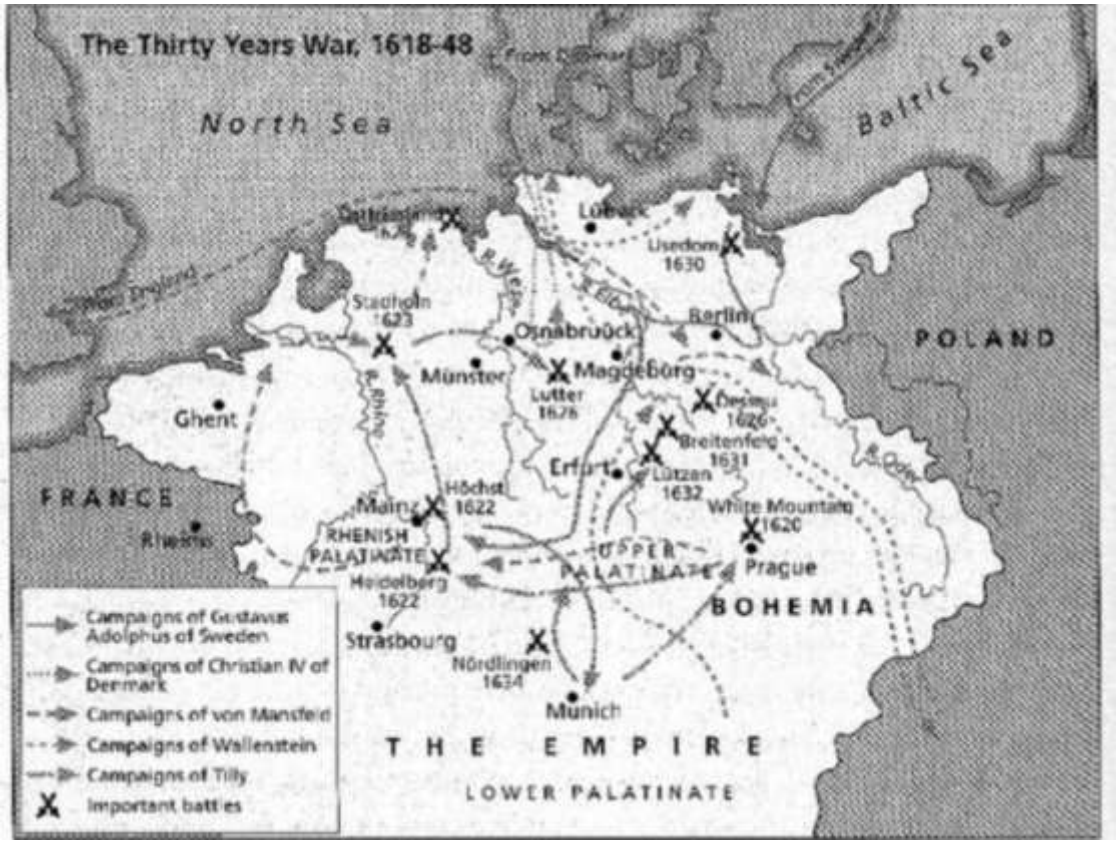

أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق ص 137.

الملحق رقم 3 : الإمبراطور فرديناند الثاني (1578-1637م).

أشرف صالح محمد سيد،المرجع السابق ص 138.

الملحق رقم 4 :أحداث براغ (الرمي من النافذة) سنة 1618م.

Trintje Helfferich ,op.cit p 5.

الملحق رقم 5: ملك الدنمارك كريستيان الرابع (1577-1648م).

أشرف صالح محمد السيد ،المرجع السابق ص 142.

الملحق رقم 6 : ملك السويد غوستاف أدولف (1594- 1632م).

Richard Bonney ,op.cit ,26.

الملحق رقم 7 : معركة الجبل الأبيض 1620 م .

أشرف صالح محمد السيد، المرجع السابق ص 134.

الملحق رقم 8 :الكاردينال ريشيليو(1585-1642م).

J.H Robinson , J.H Breasted ,A generel history Europe ,ginn and company ,New york.

الملحق رقم 9 : حصار مجدبرج 20 ماي 1631 م .

Richard Bonney ,op.cit p 43.

الملحق رقم 10 : معركة ويتستوك 4 أكتوبر 1636م .

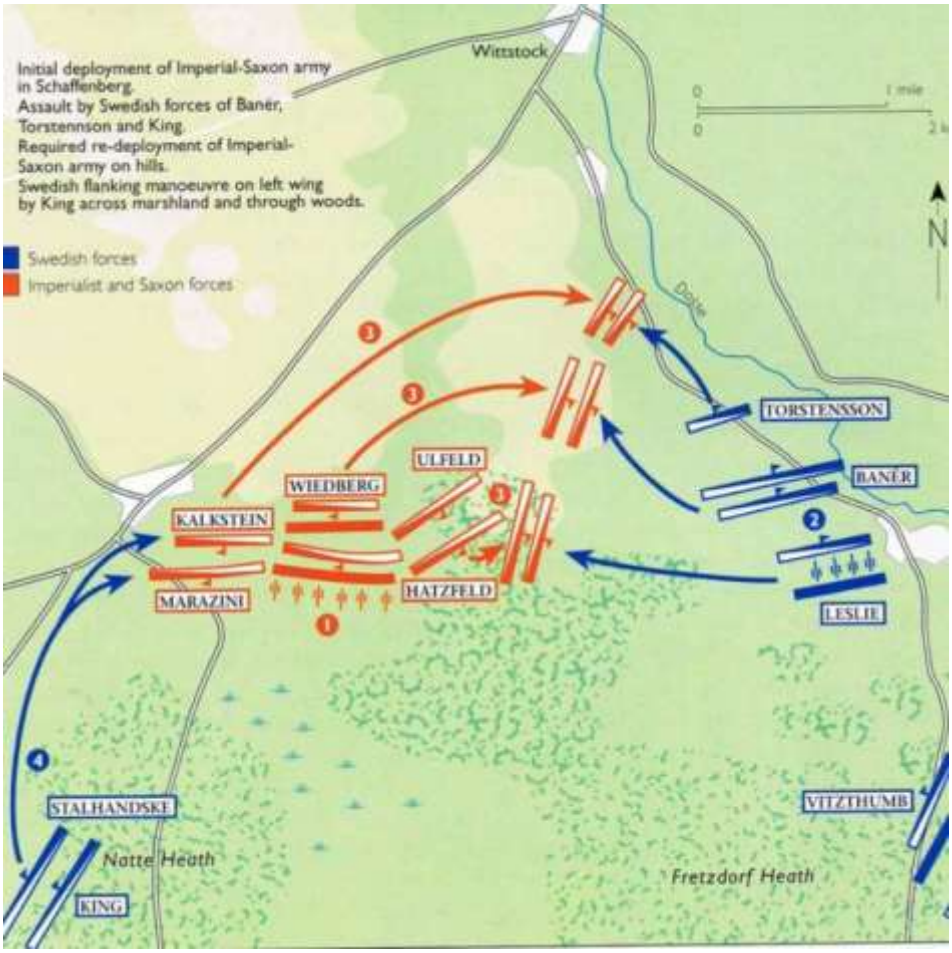

Richard Bonney ,op.cit p 59.

الملحق رقم 11 : خريطة أوروبا بعد صلح وستفاليا 1648م.

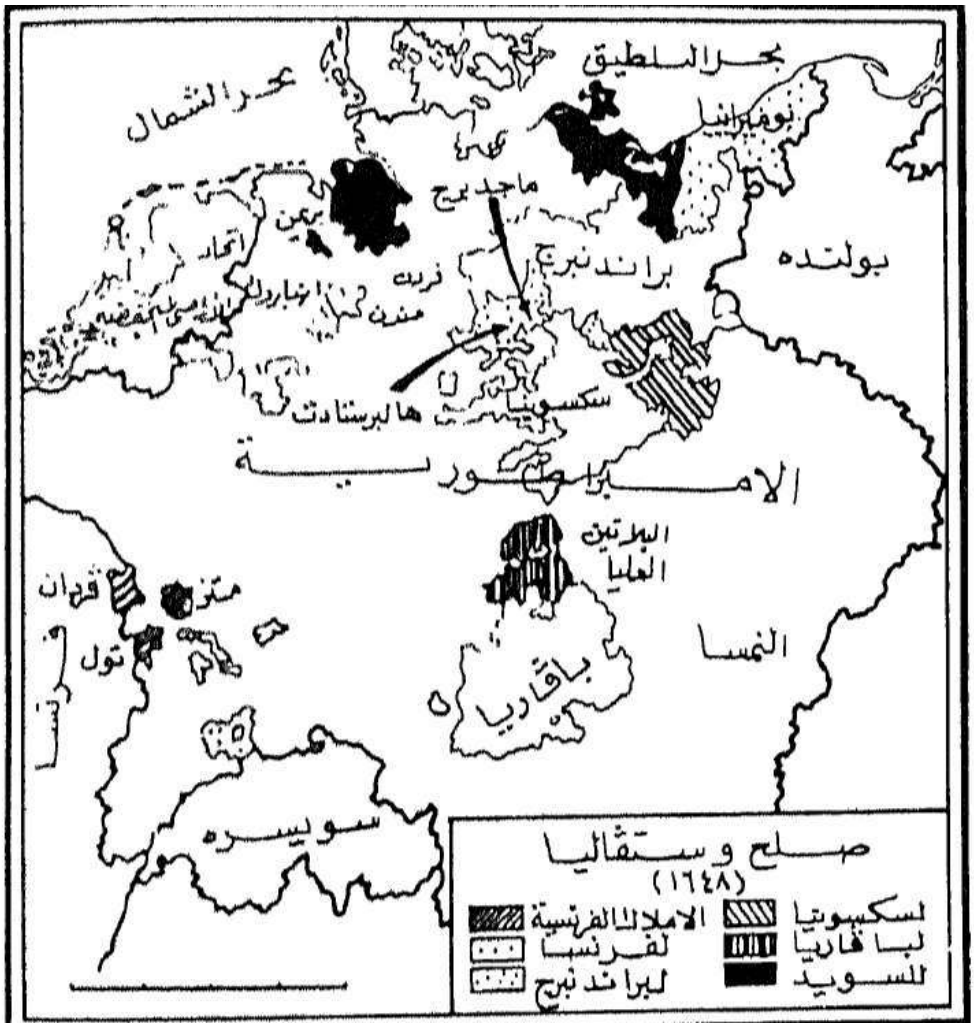

زين العابدين شمس الدين نجم، المرجع السابق ص 176.

قائمــة المراجـــع :

1) الكتـب:

أ- باللغة العربية :

1- الأدهمي محمد مظفر، تاريخ أوروبا ، مطبعة التعليم العالي و البحث العلمي،بغداد 1989.

2- أبو داود ،الكتاب المقدس_دراسة موجزة في معرفة الوحي و عصمته – ط1، call of hope ، ألمانيا.

3- أبو علية عبد الفتاح، ياغى أحمد إسماعيل، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر،دار المريخ، الرياض، 1979م.

4- البطريق عبد الحميد،نوار عبد العزيز،التاريخ الأوروبي الحديث_ من عصر النهضة إلى أواخر القرن الثامن عشر_دارالفكر العربي،مدينة نصر،1997.

5 – تسن فرغلي علي ،تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر،دار الوفاء لدنيا للطباعة و النشر، الإسكندرية – مصر ،2001م.

6- الجمل شوقي، عبد الرازق عبد الله، تاريخ أوروبا الحديث_من النهضة حتى الحرب الباردة،المكتب المصري لتوزيع المطبوعات،القاهرة، 2000 م.

7- حاطوم نور الدين،تاريخ عصر النهضة الأوروبية الحديثة ، دار الفكر الحديث، مصر،1974م.

8- حاطوم نور الدين، تاريخ القرن السابع عشر في أوروبا، ط1، دار الفكر، سوريا،1986م.

9- خاطر ذياب نصري، التاريخ الأوروبي الحديث، ط1، الجندارية للنشر و التوزيع، المملكة الأردنية، 2011.

10- الدليمي محمد حمزة حسين، الرفاعي لبنى رياض عبد المجيد،تاريخ أوروبا في عصر النهضة، ط1، دار ابن الأثير للنشر و التوزيع، مكتبة بستان المعرفة، الإسكندرية، 2010 .

11- رمضان عبد العظيم، تاريخ أوروبا و العالم في العصر الحديث،ج1، الهيئة المصرية للكتاب،1997م.

12- سيد محمد صالح أشرف، أصول التاريخ الأوروبي الحديث،ط 1، دار واتا للنشر الرقمي قطر، 2009.

13- شلبي أحمد،مقارنة الأديان_المسيحية – ج 2،ط 10 ، مكتبة النهضة المصرية ،القاهرة ،1998م.

14- الشناوي عبد العزيز محمد،أوروبا في مطلع العصور الحديثة،ج 1 ،ط 3،مكتبة الأنجلو المصرية، مصر،1977م.

15- صالح محمد محمد، تاريخ أوروبا- من عصر النهضة حتى الثورة الفرنسية (1500-1789 م)، بغداد، 1981.

16- الصباغ عبد اللطيف، تاريخ أوروبا الحديث، الإسكندرية، 1998.
17- الصباغ ليلى، معالم تاريخ أوروبا في العصر الحديث، ط 2، دار الفكر العربي.
18- صبحي حسن، محاضرات في التاريخ الأوروبي الحديث،ج1 ،دار شباب الجامعة ،الإسكندرية ،1975م.
19- عبوش صالح، تاريخ أوروبا في عصر النهضة، ط 1 ،دار الفكر،الموصل،2020 م.
20- عصمت راشد زينب، تاريخ أوروبا الحديث- من مطلع القرن السادس عشر إلى نهاية القرن الثامن عشر، ج 1، دار الفكر، القاهرة.
21- عمر عبد العزيز عمر،التاريخ الأوروبي و الأمريكي الحديث،دار المعرفة الجامعية الإسكندرية،1992م.
22- مخزوم محمد، مدخل لدراسة التاريخ الأوروبي عصر النهضة دار الكتاب اللبناني- مكتبة المدرسة ط 1،1983 م.
23- المقرحي ميلاد، تاريخ أوروبا الحديث (1453-1848م)، ط1، منشورات قان يونس، بنغازي، 1996م.
24- نجم زين العابدين شمس الدين، تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر، ط 2 ، دار المسيرة، عمان- الأردن،2016.
25- نعنعي عبد المجيد، أوروبا في بعض الأزمنة الحديثة و المعاصرة (1453-1848م)، دار النهضة العربية، بيروت، 1983م.
26- نوار سليمان عبد العزيز، جمال الدين محمد محمود، دار الفكر العربي، مدينة نصر، 1999م.
27- هريدي صلاح أحمد، أوروبا من مطلع العصور الحديثة حتى سقوط نابليون بونابارت، مكتبة بستان الإسكندرية، 2010م.
28- الوائلي عامر زيد كاظم،الإصلاح الديني(قراءة المفهوم في التجربة المسيحية الغربية)، ط 1 ،المركز الإسلامي للدراسات الإستراتجية، 2018م.
29- يحي جلال، أوروبا في العصور الحديثة(الفجر)الهيئة المصرية للكتاب،الإسكندرية،1981م.
30- يحي جلال،التاريخ الأوروبي الحديث و المعاصر حتى الحرب العالمية الأولى،المكتب الجامعي الحديث و المعاصر ،الإسكندرية.
31- برون جفري، تاريخ أوروبا الحديث، تر: المرزوقي علي، ط1، الأهلية للنشر و التوزيع ، بيروت، 2006.
32- فيشر هربرت،أصول التاريخ الأوروبي الحديثمن النهضة الأوروبية إلى الثورة الفرنسية،تر:عصمت راشد زينب،مر:أحمد عبد الكريم أحمد عزت،ط 3،دار المعارف،مصر.

33- موسنييه رولان ،تاريخ الحضارات العام،ج 4،ط 2،بيروت-باريس،1987م.

34- ويلتر.ج، الهرطقة المسيحية، تاريخ البدع الدينية المسيحية، تر:سالم جمال، دار التنوير للطباعة و النشر و التوزيع، بيروت،2007 م.

35- ويلكنسون بول، العلاقات الدولية، تر:تركي عماد لبنى، مر:عبد العزيز غانم هبة، مؤسسة هنداوي، 2007م.

ب- باللغة الأجنبية:

36- Bonney Richard, thirty years war, (1618-1648), osprey publishing, great britain, 2002.

37- Gantet Claire, thirty years war and peace of westphalie, editions tallender, Paris, 2007.

38-Gardiner Samuel Rawson, thirty years war, the library of congrès, New york, 1889.

39- J.Hayes Carlton Woolsey, Bladwin Marshel Whithed, Cole Charles Woolsey, the macmillon company, New york,1949 .

40- Merrimen John, a history of modern Europe norton and company

New york, 1996.

41- Ogg David, Europe in the seventeenth centry central, library mount pleasant,1995.

42- Pagès Georges, the thirty years war, torchbook library editions

New york, 1970.

43- R R Palmer, a history of modern world, alfred, New york,1995.

44- Tyntje Halfferich, the thirty years war, hacket publishing company, 2009 .

2) المجـــلات:

أ- باللغة العربية:

45- أحمد شطة،أبا حسن حسام الدين،مفهوم العلاقات الدولية و تصنيفاتها، **مجلة البحوث القانونية والإقتصادية**، مج:6،ع:2،الأغواط،2023 م.

46- آيت قاسي لياس،نظام توازن القوى في أوروبا بعد مؤتمر وستفاليا 1648م،مج:13،ع:1،**مجلة الباحث**، بوزريعة،2021 م.

47- بن لخضر محمد، أسس القوة الإلزامية لقواعد القانون الدولية، سيادة الدول،**مجلة القانون**،ع:8 غليزان،2017 م.

48- تركي طوهري،القديس أوغسطين،تر:الحلواني ناصر ،**مجلة الحكمة**، 2020 م.

49- الدوري عمار شاكر ،التكريتي حارث عبد الرحمان،حرب الثلاثين عام (قراءة الأسباب و النتائج) **مجلة سر من رأى** ،مج:10،ع:38،تكريت،2014 م.

50- رانيا مكرم ،إرساء القواعد المؤسسة للعلاقات المعاصرة ،**مجلة آفاق سياسية**، ع:19، جمهورية مصر،2017 م.

51- علي محمد ، عثمان محمد، الحروب الدينية أوروبا على مشارف العصر الحديث، **مجلة التفاهم** ،ع:42 2013 م.

52- مرسم عبد الحفيظ، واقع الإصلاح الديني في ألمانيا من اللوثرية الألمانية إلى البروتستانتية الأوروبية،**مجلة المتون**،مج:10، 2001 م.

53- هوكينتز كريستوفر،اتجاهات الفكر البروتستانتي، **مجلة التفاهم**،ع:42، 2013 م.

ب- باللغة الأجنبية:

54- Houdry Philippe ;la guerre de trente ans (1618-1648) ;**bilan de recherches généalogiques sur Marie Louise et ses ascendants** ;n:20,France ;2005.

55- Kilsdonk Logan, the thirty years war ;**lawrence** ;2018.

56-Padinjarekekuttu Isaac ;the causes of the reformation, **jnanadeepa,** issie : 21, n :2,2017.

3) الرسائل الجامعية:

57- آل عمر محمد بن علي بن محمد، الطائفة الكاثوليكية فرقها و عقائدها وأثرها على العالم الإسلامي (أطروحة دكتوراه:تخصص عقيدة) جامعة أم القرى، المملكة العربية السعودية، 2007م.

58- حيمر صالح، التحالف الأوروبي1541 م و تأثيراته الإقليمية و الدولية، (رسالة ماجيستر، تخصص التاريخ جامعة الحاج لخضر باتنة، 2006- 2007م.

59- ذيب جمال، مجاهدي جابر، القيمة القانونية لمعاهدة وستفاليا (مذكرة ماستر:تخصص القانون الدولي العام)،قسم الحقوق،كلية الحقوق والعلوم السياسية،جامعة زيان عاشور، الجلفة،2021/2020.

60- رحيم فوزي جيب الله عامر، مؤتمر وستفاليا، دراسة في تاريخ الدبلوماسية الدولية، (مذكرة ماجيستر:التاريخ) ، الحاج لخضر باتنة، 2006-2007 م.

61- الطيب بن أحمد، حقوق الأقليات الدينية (دراسة مقارنة بين الشريعة الإسلامية و القانون) قسم العلوم الإسلامية، كلية العلوم الإنسانية و الإجتماعية، جامعة أدرار، 2012-2013م.

4) الموسوعات و المعاجم :

أ- باللغة العربية:

62- البيطار فراس،الموسوعة السياسية و العسكرية،ج1، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن- عمان،2003 م.

63- البيطار فراس،الموسوعة السياسية و العسكرية،ج3، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن- عمان، 2003م.

64- د.الزايدي مفيد، موسوعة تاريخ أوروبا الحديث و المعاصر عصر النهضة، ج 2، ط3، دار أسامة للنشر و التوزيع، الأردن- عمان،2009 م.

65- غربال محمد شفيق،الموسوعة العربية العلمية الميسرة،مؤسسة فرانكلين للطباعة، القاهرة، 1965م.

66- لانجر وليام، موسوعة تاريخ العالم، ج4، تر: محمد مصطفى زيادة، مؤسسة فرانكلين للطباعة و النشر، القاهرة- نيويورك،1963 م.

67- مسعود الخوند، الموسوعة التاريخية الجغرافية، ج :3، دار النهضة رواد النهضة، لبنان.

68- مولا علي، الموسوعة العربية الميسرة ، ط1،شركة أبناء الأنصاري، بيروت- لبنان، 1998م.

69- محاسيس سليم محمود نجاة،معجم المعارك التاريخية،ط1، دار زهران، المملكة الأردنية، 2011 م.

ب- باللغة الأجنبية:

70-Carlton Aderhold , petit larousse de l'histoire du monde en 7000 mots, Paris, 2006.

5) المواقع الإلكترونية:

أ- المكتوب:

71- البدري عصام عبدالمنعم ،السيد عبد الله أحمد،أثر صلح وستفاليا 1648م و مؤتمر فيينا في تطور القانون الدولي العام،المركز الديمقراطي العربي ،على الساعة 9:30 يوم 5 أوت 2024م عبر الموقع:.www.Democratic arabic center..com

72- فؤاد آل عواد،آخن حاضرة أوروبية مسكونة بروح القياصرة شوهد على الساعة 15:09 يوم 25 جوان 2024 م عبرالموقع: www.dw.com

73- مؤلف مجهول،قاموس المصطلحات الكنسية،موقع الأنباء تكلة هيانوت الإسكندرية شوهد على الساعة 10:23 يوم 25 جوان 2024 م عبر الموقع www.zabella.com:

74- Giorges Livit : Serdinand 3 (1608-1657) Holy roman emperer article enclopeadia. Universalis, 1999 sur le site : www.universaly.com

ب- السمعي البصري:

75- قناة السياسة و العلاقات الدولية،معاهدة و ستفاليا:السيادة وإنهاء الصراع الدينيو ظهور الدولة القومية الحديثة،شوهد على على الساعة:20:45 يوم 6 أوت 2024م عبر الرابط:.. www.Youtub.com.app

شكر و تقدير
إهـــــداء
مقدمة ..... أ
الفصل الأول: الأوضاع في أوروبا قبل نشوب حرب الثلاثين سنة 6
المبحث الأول: ظهور الإصلاح الديني في أوروبا خلال القرن 16م 7
أولا: دوافع قيام حركة الإصلاح البروتستانتي **7**
ثانيا: الإصلاح الديني في ألمانيا 11
ثالثا: الإصلاح الديني في سويسرا 17
رابع: الإصلاح الديني في إنجلترا 20
المبحث الثاني: الإصلاح الكاثوليكي المضاد والصراع الديني في أوروبا 23
أولا: الإصلاح الكاثوليكي المضاد 23
ثانيا: الحروب الدينية في فرنسا 25
ثالثا: الحروب الدينية في الأراضي المنخفضة 29
الفصل الثاني: حيثيات حرب الثلاثين سنة 33
المبحث الأول: أسباب حرب الثلاثين سنة 34
أولا: الأسباب الدينية السياسية 34
ثانيا: الأسباب السياسية 40
ثالثا: الأسباب الإقتصادية 44
المبحث الثاني: تطورات حرب الثلاثين سنة 46
أولا: المرحلة البوهيمية (1618-1620م) 46
ثانيا: المرحلة الدانماركية (1623-1629م) 49
ثالثا: المرحلة السويدية (1630-1635م) 53
رابعا: الرحلة السويدية الفرنسية (1635-1648م) 58
الفصل الثالث: نهاية الحرب وعقد صلح وستفاليا 63
المبحث الأول: مؤتمر وستفاليا 1648 م 64
أولا: بداية مفاوضات للسلام في المؤتمر 64
ثانيا: مبادئ صلح وستفاليا 66
ثالثا: قواعد التسوية السياسية والدينية 67
المبحث الثاني: نتائج صلح وستفاليا وتأثيره على العلاقات الدولية 71
أولا: إنعكاسات الصلح 71

ثانيا: تأثير صلح وستفاليا على العلاقات الدولية 75
خاتمة.....81
الملاحق 85
قائمة المراجع.....97
فهرس المحتويات..... 104